بسم الله الرحمن الرحيم

# مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، وبه نستعين، ونستلهمه العفو والعون والعافية. والصلاة والسلام على سيدنا محمد (ﷺ) سيد الأنبياء والمرسلين، ورحمة الله – تعالى– للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

**وبعد،،**

فالشعر الوطني بات علامة واضحة في مسار الشعر العربي المعاصر؛ إذ التحم الشاعر المعاصر بقضايا وطنه، وانفعل بما يجري من حوله، وشارك في النهوض بوطنه مشاركة فعالة معبرا عن واقعه وطموحاته، وآمال أمته وسبيل نهضتها. ومن بين الشعراء الذين برزت الوطنية في شعرهم بروزا بيِّنا الشاعر حسن فتح الباب، فهو من الأصوات الشعرية المتميزة، ومن نتاج هذا الواقع بما يدور فيه من صراعات وأحداث وقضايا، فرضت عليه وطنيته التعبير عنها في شعره.

لقد وجدته– من خلال أشعاره – الشاعر الوطني العاشق لوطنه، المتألم لمصابه، المناضل ضد الحركات الاستعمارية التي ألقت بوطأتها على كاهل الأمة الإسلامية والعربية. اتسعت وطنيته وطوعته للتعبير عن مصاب الوطن العربي بأسره؛ فقاوم مع القضية الفلسطينية بكل ما أوتي من ملكات شعرية، وكانت صرخاته وأناته مدوية تقرع القوى الصهيونية الباغية، ونددد بغزو العراق وتألم لشعبه، وناضل بشعره مع لبنان، واستنهض الهمم لسوريا، وغنى للجزائر وشعبها، وقد علت صيحاته مؤازرا، ومنددا بالمستعمر، ومحرضا على المقاومة والجهاد، والدفاع المستميت من أجل الحرية والاستقلال، ورفع راية

العروبة، وجاءت أشعاره في هذا المجال تنبض بوطنيتـــه، وصـــدق مشـــاعره، وحرارة عواطفه، وعمق تجاربه.

## وقد دفعني إلى اختيار هذا الموضوع عوامل كثيرة، منها:

- بروز الجانب الوطني بروزا واضحا في شعر حسن فتح البـــاب، وتعبيـــره عن جل القضايا الوطنية تعبيرا يعكس حسه الوطني، بما يغـــري الـــدارس بالبحث عن أسباب بروز هذا الجانب البيِّن في شعره، والكشف عـــن مـــدى صدق الشاعر في تجربته، وعمق إحساسه بقضايا وطنه وعروبته.
- جدة هذا الموضوع وبكارته؛ إذ لم أجد – فيما أعلم– من عنـــي بدراســـة الوطنية في شعر حسن فتح الباب على جودة شعره، وعمق تجربته، وصدق عاطفته، وامتلاكه أدوات الفن الشعري.
- الكشف عما تعانيه الأمة الإسلامية والعربية في ماضيها وحاضـــرها مـــن تشتت وتنازع، وما يعتور أراضيها وشـــعوبها ومقدســـاتها مـــن هجمـــات استعمارية غادرة، ونزعات غربية ماكرة تريد القضاء على وحـــدة الأمـــة، وفصل التحامها بعربيتها، وســـلب هويتهـــا، ومحـــو الإســـلام منهـــا– إن استطاعت– ولن تستطيع أبدا!.
- وجدت الشاعر يمتلك أدوات الشعر وآليّات الفن والإبـــداع، فجـــاءت هـــذه الدراسة محاولة للكشف عن القيم الجمالية والفنية التي ينطوي عليها شـــعره الوطني، واستجلائها، والتحاور مع أبعادها وموضوعاتها.

هذه الدوافع وغيرها كانت سببا في إغرائي بدراسة هذا الموضوع الذي أراه جديرا بالبحث والدراسة.

**وقد قسمت البحث بعد هذا التقديم إلى** تمهيد، وستة فصول، وخاتمة، وفهرس للمراجع، وآخر للموضوعات. تناولت في التمهيد: الشعر الوطني والسياسي والقومي، ثم أردفت ذلك بالحديث عن حسن فتح الباب الشاعر الوطني.

**وفي الفصل الأول**: (**مصر في شعر حسن فتح الباب**) تحدثت عن حب الشاعر لوطنه مصر، وتألمه لمصابها، ثم التغني بالانتصارات المصرية، والإشادة برموز الوطنية، وأخيرا: الحض على الثورة، ومقاومة المستعمر، والدعوة إلى الحرية.

**ثم كان الفصل الثاني**؛ (**القضية الفلسطينية**) وفيه وقفت مع تناول الشاعر لهذه القضية ونضاله من أجل فلسطين وشعبها، وحضه على الثورة ضد المستعمر، وتنديده بالاحتلال الصهيوني، وقتل الأطفال، وختمت هذا الفصل بتمجيد الشاعر للشهداء ورموز النضال والمقاومة.

**وجاء الفصل الثالث**: (**القضايا العربية الأخرى**)؛ عرضت فيه للقضية العراقية، ونضال الشاعر من أجل سوريا ولبنان، والجزائر، وما نالها من هجمات استعمارية غادرة؛ فقد ناضل من أجل الحرية والاستقلال ورفع راية العروبة، وحض على الجهاد، ومجد الشهداء ورموز المقاومة، فكان شعره كصيب من السماء يقرع مسامع الأعداء، ثم يعود فيهدأ ليكون كالطل راثيا حال العروبة وما أصابها من ويلات الاستعمار، في نسيج شعري قوي يبرهن على وطنيته، ويشف عن قوة انتمائه لعروبته.

**وفي الفصل الرابع**: (**اللغة والأسلوب**) تناولت لغة الشاعر ومعجمه الشعري الوطني، أردفت ذلك بدراسة الظواهر الأسلوبية في شعره، فتحدثت

عن الاقتباس من القرآن الكريم، والاستفهام، والتكرار، والحس الدرامي، والتناص.

**أما الفصل الخامس**: (**الصورة الشعرية**) فعرضت فيه للصورة وأهميتها، والوسائل التي اعتمد عليها الشاعر في تصويره، ثم تحدثت عن الصورة البيانية التي شملت التشبيه، والاستعارة، والكناية، والتشخيص، والتجسيد، والصورة الحركية، وختمت هذا الفصل بالصورة الرمزية.

**أما الفصل السادس**:(**الموسيقى الشعرية**) عنيت فيه بالحديث عن الموسيقي الخارجية التي تمثلت في الوزن والقافية، والموسيقى الداخلية التي شملت موسيقى الحرف، وموسيقى الكلمة، وموسيقى العبارة.

ثم كانت الخاتمة؛ وفيها أشرت إلى ما تضمنته فصول هذا البحث من حقائق، وانتهت إليه من نتائج، ثم ختمت البحث بفهرس للمصادر والمراجع، ثم فهرس الموضوعات.

*وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب*

*وصلي اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه.*

**د/محمد عبد العزيز عبد العزيز**

# تمهيد

## أولا: بين الشعر الوطني والسياسي والقومي

يذهب بعض الدارسين إلى أن "الذين يتعلقون بالوطنية ينتسبون إلى لأرض، والذين يتعلقون بالقومية ينتسبون إلى الأمة"(١).

والأمر نفسه مع من يرى أن "الشعر الوطني ما تعلق بقضية الوطن أو الشعب الذي يقطن قطرا معينا، وهو أضيق من مدلول الشعر القومي الذي يتسع ليشمل الأمة أي مجموعة الشعوب الشقيقة"(٢).

وأرى أن الوطن بهذا المفهوم ضيق المدلول؛ لأنه موقوف على قطر بعينه، وهو وطن الشاعر الذي به ولد ونشأ، فهو لا يعبر عن النزعة الوطنية الذي تتسع لتشمل الأمة، بل هو – بهذا المفهوم الضيق– يقضي على أواصر الأخوة، ويساعد على اتساع الفجوة التي انصدعت في جسد العروبة، ويهدم الحلم العربي الكبير للأمة العربية والإسلامية.

وبعض الدارسين يرى أن الشعر الوطني يتسع ليشمل "الأناشيد الحماسية، وتصوير الفظائع التي ارتكبها الغاصب، والمناداة بالاستقلال، والتحلل من ربقة الأجنبي، والحث على الثورة، وتصوير الصدام بين جنود الاحتلال والوطنيين المجاهدين"(٣).

---

(١) أزمة المفاهيم وانحراف التفكير: عبد الكريم غلاب ص ٦٧، س الثقافة القومية رقم ٣٣ مركز دراسات الوحدة العربية بالأهرام القاهرة.

(٢) الاتجاه القومي في الشعر المعاصر: عمر دقاق ص ١٣، معهد الدراسات العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦١م.

(٣) في الأدب الحديث: عمر الدسوقي ٢٩٤/١، دار الفكر العربي، القاهرة، السابعة ١٩٦٤م.

أما الشعر السياسي– فهو كما يراه بعض الدارسين– ذلك "الفن من الكلام الذي يتصل بنظام الدولة الداخلي أو بنفوذها الخارجي، ومكانتها بين الدول"(١). وهو عند بعضهم: "الفن القولي – شعرا وكتابة وحوارا – الذي يتعاطى شئون الحكم تأييدا أو تفنيدا، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم"(٢).

وهو أيضا: "الشعر الذي سخره قائلوه في خدمة السياسة، فهو الذي يتناول أمور الدولة مؤيدا ومعارضا، أو نصرة لفريق على فريق أو تأييدا لمذهب وهدما لمذهب آخر، أو دفعا لاتهام، وما إلى ذلك من كل ما يتعلق بشئون الدولة داخليا، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حربها أو سلمها"(٣).

فالشعر السياسي – بهذه التعريفات– يتسع ليشمل الوطن بشئونه الداخلية وعلاقاته الخارجية.

والشعر القومي – كما يرى بعض الدارسين– يشمل: "الوطني، والشعر السياسي، والشعر الاجتماعي، وهو بكل جوانبه نتاج الثورات العربية في مواجهة المعتدين على الحريات والمحتلين المستعمرين والحكام المستبدين كما أنه نتاج الثورات المتوالية في مواجهة طائفة من العادات والتقاليد التي تغلغلت في النفوس والتحمت بها، ومع تطور الحياة أصبحت غريبة أو كالغريبة الطارئة عليها، فلزم أن تقاوَم أو تقوّم وتهذّب"(٤).

---

(١) تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني: أحمد الشايب ص ٣، ٤، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، السادسة ١٤٠٣هـ– ١٩٨٣م.

(٢) أدب السياسة في العصر الأموي: د/ أحمد الحوفي، ص ٨، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الخامسة ١٣٩٩هـ– ١٩٧٩م.

(٣) في الشعر السياسي حتى نهاية العصر الأموي: د/ عبد الرحمن محمد هيبة ص ١٣، ١٤، دار التضامن للطباعة، القاهرة ١٤٠٤هـ – ١٩٨٤م.

(٤) في الأدب العربي المعاصر: د/ إبراهيم عوضين ٣٩/٢، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧٩م.

وهو- أيضا-: "ذلك النمط الشعري الذي يخوض به ناظمه معارك العروبة، فيسجل انتصاراتها، ويئن لانكساراتها، ويمجد عظماءها، ويبارك نهضتها الكبرى، ويفجر فيها روح العزيمة، ويستحث همتها، ويشخص أدواءها، ويدعو إلى توحدها عند مواجهة الآخر عازفا في ذلك كله على وتر العقيدة، واللغة، والدم، والتاريخ المشترك، والثقافة المشتركة واستلهام الماضي ليكون شعلة الحاضر والحلم بمستقبل مشرق رغيد"(١).

فالمتأمل هذه التعريفات للشعر (الوطني، والسياسي، والقومي) وغيرها، يجد تداخلا بيّنا بينها، وخلطا واضحا في مفهومها، والأمر لا يعدو أن تكون هذه المسميات بمثابة المترادفات، وإن كان لكل مسمى خصوصيته الدقيقة يميزه الطابع الغالب على هذا الشعر أو ذاك، بمعنى أن كل لون من تلك الألوان الشعرية يتداخل في اللون الآخر تداخلا يقف عند حدود التلاقي، ويزداد هذا التداخل حتى يصير امتزاجا، ليصل هذا الامتزاج في النهاية إلى التلاحم والتلازم.

وللدارس عذره في ذلك لأنه أمام مصطلحات عدة تلتقي في النهاية حول مؤدى واحد ومفهوم واحد، بل تنبع من أصل واحد، هو وطنية الأديب- شاعرا أم كاتبا-، وصدق مشاعره وأحاسيسه تجاه وطنه المحدود جغرافيا، أو المتسع بأبعاده وحدوده العربية والإسلامية بصفة عامة.

إنني هنا لا أستطيع أن أدرس الشعر القومي أو السياسي بعيدا عن الشعر الوطني لارتباطهم الوثيق، وتلازمهم الدقيق، لذا رأيت أن أسير في دراستي هذه على هذه الدرب مؤثرا أن أجعل الشعر السياسي أو القومي ضمن حدود وأبعاد

---

(١) وطنيات هاشم الرفاعي (دراسة في المضمون وأدوات التشكيل الشعري): د/ جميل عبد الغني محمد، ص ٣١، القاهرة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

الشعر الوطني، سيما أن هذه المسميات تنبع من منبع واحد هو وطنية الشاعر، وانتمائه لوطنه وعروبته، وأمته، وتصب جميعها في مصب واحد هو: الوطنية بمعناها الواسع الذي يحمل في طياته النهوض بالأمة العربية، وينادي بتحقيق الحلم العربي الكبير، والحفاظ على الهوية الإسلامية في كل مكان على وجه الأرض.

وأتساءل: كيف يكون وطنيا ذلك الذي ينسى إخوانه في الدين، والأرض، والعروبة؟! كيف يدعي الوطنية أولئك الذين نسوا إخوانهم ونبذوهم وراءهم ظهريا، وتركوهم وحدهم يلتحفون بالظلم والاستبداد والترهيب، يصارعون الموت ويجابهون قوى الاستعمار الباغية الطاغية؟!.

وما أجمل قول شاعر النيل حافظ إبراهيم مؤكدا على هذا الترابط العربي، مجسدا هذه الوجهة التي اتجهت إليها، يقول من قصيدة (سوريا ومصر):

إذا أَلَمَّت بِوادي النيلِ نازِلَةٌ ... باتَت لَها راسِياتُ الشامِ تَضطَرِبُ
وَإِن دَعا في ثَرى الأَهرامِ ذو أَلَمٍ ... أَجابَهُ في ذُرا لُبنانَ مُنتَحِبُ
لَو أَخلَصَ النيلُ وَالأُردُنُّ وُدَّهُما ... تَصافَحَت مِنهُما الأَمواهُ وَالعُشُبُ(١).

(١) ديوان حافظ إبراهيم، تحقيق: أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الإبياري، ٢٦٩/١، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، الثانية ٢٠٠٢م.

## ثانيا- حسن فتح الباب الشاعر الوطني

بدأ حسن فتح الباب(١) مسيرته الشعرية في الأربعينيات بكتابة القصيدة العمودية، ثم انتقل في الخمسينيات إلى القصيدة الحديثة (شعر التفعيلة)، وهو أحد رواد حركة الشعر الحر في الخمسينيات، ولا يزال حتى كتابة هذه السطور يتوهج قلمه بقول الشعر الذي يتفاعل مع كل جوانب الحياة، فلم يبرح الشعر قرضا وظل عليه عاكفا إلى أن أصدر عددا من الدواوين الشعرية(٢) التي

---

(١) ولد حسن فتح الباب حسن في ٢٧ نوفمبر ١٩٢٣م في حي شبرا بالقاهرة، حصل على ليسانس الحقوق١٩٤٧م، وماجستير العلوم السياسية ١٩٦٠م، ودكتوراه القانون الدولي ١٩٧٦م، عمل ضابطا بالشرطة، وأحيل إلى المعاش برتبة لواء ١٩٧٦م.

– أمضى بعد تقاعده عشر سنوات في الجزائر عمل خلالها أستاذاً بكلية الحقوق بجامعة وهران. وهو عضو في لجنه الشعر بالمجلس الأعلى للثقافة، واتحاد الكتاب، وجمعية الأدباء، وجمعية القانون الدولي.

– فاز بجائزة المجلس الأعلى للفنون بالاشتراك مع وزارة الثقافة١٩٧٥م. كما فاز بجائزة مؤسسة عبد العزيز سعود: (البابطين للإبداع الشعري) ١٩٩٢م. عن ديوانه (أحداق الجياد)، ومنحه اتحاد الكتاب العرب جائزة القدس عام٢٠٠١م. انظر: على سلم من هشيم الرياح، شعر حسن فتح الباب، ص ١٧٠، ١٧١، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م.

– كُتبت عنه عدة دراسات ومقالات أدبية ونقدية؛ جمعها مصطفى القاضي في كتاب وسمه بـ (الحياة الشعر والشعر الحياة دراسات ورؤى نقدية في الأعمال الشعرية للدكتور حسن فتح الباب) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

(٢) من هذه الدواوين: من وحي بور سعيد ١٩٥٧م، فارس الأمل ١٩٦٥م، مدينة الدخان والدمى ١٩٦٧م، عيون منار ١٩٧١م، حبنا أقوى من الموت ١٩٧٥م، أمواجا ينتشرون ١٩٧٧م، معزوفات الحارس السجين ١٩٨٠م، رؤيا إلى فلسطين ١٩٨٠م، وردة كنت في النيل خبأتها ١٩٨٥م، مواويل النيل المهاجر ١٩٨٧، أحداق الجياد ١٩٩٠، وقد جمعت الهيئة المصرية العامة للكتاب الدواوين السابقة في الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب وأصدرتها في جزءين ١٩٩٥م. الخروج إلى الجنوب١٩٩٩م، على سلم من هشيم=

تكشف عن امتلاكه أدوات الفن الشعري، وتشف عن شاعر خبر دروب الشعر، فضلا عن أعماله الأخرى النقدية والنثرية([1]).

وقد عاش شاعرنا الأحداث التي عانتها الأمة العربية من صراعات وحروب، وعاينها، حيث الصراع العربي الإسرائيلي بين العدو الصهيوني وبلاد العرب والمسلمين، والصراع الفلسطيني الإسرائيلي، والمصري الإسرائيلي، والصراع الإسرائيلي اللبناني، وقضية العراق وغيرها، كل هذه القضايا التي كان لها عظيم الأثر في نفوس العرب والمسلمين، وإثراء الحركة الشعرية والأدبية بصفة عامة.

والشاعر حسن فتح الباب من الشعراء الذين انفعلوا بهذه الصراعات وتفاعلوا معها، فجاء شعره سجلا حافلا بهذه الأحداث وهذه الصراعات التي فرضت عليه وطنيته أن يعيش معها ويتأثر بها: تأثر بها كإنسان مسلم عربي، وسجلها قلمه كشاعر وطني يغار على أمته العربية والإسلامية، دافع عن القضية المصرية والعربية، وندد بالاستعمار، وحض على مقاومته بشتى السبل، ودعا إلى الاستقلال والحرية، وغنى للمناضل في كل زمان ومكان.

لقد وجدت الوطن عند شاعرنا يتسع ليشمل أرض العروبة والإسلام، وفرضت عليه وطنيته أن يشارك إخوانه العرب في آلامهم وآمالهم، وأتراحهم

---

=الرياح٢٠٠٦م، وآخرها: أرقني الشوق إلى العادلين من وحي ثورة ٢٥ يناير، والذي كتبه في أعقاب ثورة ٢٥ يناير ٢٠١١م.

(١) منها: رؤية جديدة في شعرنا القديم١٩٨٤م، شعر الشباب في الجزائر بين الواقع والآفاق ١٩٨٥م. شاعر وثورة ١٩٨٦م. مفدى زكريا شاعر الثورة الجزائرية ١٩٩٧م. وغيرها. انظر: ديوان على سلم من هشيم الرياح ص ١٧٣.

وأفراحهم، ويعنى بقضيتهم، ولا غرو، فهو ابن العربية الذي تربي ونشا في حارة المجدلي بحي شبرا بالقاهرة، وعاش ردحا من الزمن بين الفقراء والكادحين من أهل الريف، فارتضع لبنهم، وارتشف من نبعهم، وشب على طينتهم وأخلاقهم، ولبس ثوب الأصالة والصفاء الإنساني البعيد عن الخداع والزيف، لذا فقد تألم، وتفجّع، وشارك، وأنَّ، وتأوَّه، وحض على الثورة، ومقاومة المستعمر في كل بلاد العالم، ودعا إلى الحرية والخروج من ربقة كل ظالم وكل مغتصب للحق، فشعره في مصر شعر العاشق المحب، وشعره في الوطن العربي شعر المتألم لآلامه وأحزانه ومصابه، وما يعانيه من ظلم واضطهاد واستبداد القوى الاستعمارية العاتية.

إن شاعرنا سيطرت عليه هموم وطنه، وهموم عروبته، فهو شاعر "يسكنه العشق الكبير: الوطن والشعر، اختارهما فتنة وترياقا وصبوة لاعجة، وبوحا مشروعا، وواعيا أعلن عن حاجته أن يوجد أمام عينيه: (عليل أنا: علتي صحة البوح)، من هنا يرتدي نص حسن فتح الباب لون الفرحة، وطعم الوجع، وشرف المواطن وأخلاقية الفارس"(١).

فتقرأ في دواوينه تجد الوطنية في شعره واضحة جلية لا تحتاج إلى تأمل، فمنذ مطالعة دواوينه من الوهلة الأولى تجزم بأنه شاعر وطني من الدرجة الأولى، ارتشف رحيق الوطنية قطرة قطرة، وكانت أشعاره التي تغنى بها للوطن أو غناها للوطن تواتيه طواعية عفوية يتنفس بها أو يُنفِس بها عما

(١) الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب، الجزء الثاني (المقدمة)، شاعر علته البوح: د/ محمد حافظ دياب، ص ١٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة١٩٩٨م.

يضطرم في صدره من عاطفة وطنية ثائرة، كانت أشعاره صدى للمد الوطني العارم الذي أشعل مصر كلها وأشعل العالم العربي حولها حين انطلقت فكرة القومية والاتحاد لمقاومة المستعمر(١).

إن شعر حسن فتح الباب- ولا يزال- سيفا مسلطا على رقاب البغاة والظالمين في كل زمان ومكان، ورمحا مسنونا في صدور الاستعمار والمستعمرين، لقد غنى لوطنه ولأمته، وشارك بشعره في المعركة الوطنية والعربية، وعلا صوته منددا بالاستعمار والصهيونية، وحارب الغزو الفكري للبلاد العربية، وسخر بالنعرات الكاذبة التي تنادي بها الدول الكبرى وهي لا تمتلك منها شيئا، ودعا إلى الحرية والاستقلال من براثن المستعمرين الغاصبين للخيرات؛ وهذا ما ستتكفل بالكشف عنه الصفحات التالية- إن شاء الله تعالى.

(١) انظر: أسمى الوجوه بأسمائها (مذكرات الدكتور حسن فتح الباب) ص ٧٨، مطبعة أطلس، القاهرة، الأولى ١٩٩٥م.

# الفصل الأول: مصر في شعر حسن فتح الباب

## مدخل: الوطن والشاعر

جبلت الفطر السليمة على محبة الوطن، والحنين إليه، فهو مهد الإنسان الأول، ومرتع صباه ونشأته، ومنشأ ذكرياته وآماله، وروافد ثقافته، وفي أحضانه تكونت معالم شخصيته، وتشكلت أفكاره وطبائعه، وتفجرت ينابيع معرفته بالناس من حوله، وخبرته في الحياة.

والشاعر الوطني لا يعيش لنفسه في خضم الأحداث لأنه جزء من شعبه، ومرتبط بقضايا وهموم هذا الشعب، يتغني بأفراحه، ويتألم لأتراحه، ويسعد لانتصاراته، ويبكي لجراحاته، لذا ينبغي على الأديب – شاعرا أم كاتبا – أن يوجه أدبه لخدمة وطنه، وأن يعمل على النهوض بهذا الوطن نحو التقدم والازدهار، ويشيد ببطولاته، ويمجد انتصاراته، ويذود عن حياضه، ويناضل من أجله، ويحافظ على كرامته وحريته.

وكان حسن فتح الباب من طليعة هؤلاء الشعراء الذين عنوا بقضايا وطنهم، واهتموا لما يعانيه الشعب، وقد أعلنت شاعريته في هذا المجال عن حب بيّن لوطنه، بدا واضحا في كثير من أشعاره، فقد أنفق كثيرا من قصائده في ترجمة هذا الحس الوطني وبث لواعجه نحو بلده، في قالب شعري يتسم بدقة المعاني، وصدق الأحاسيس، وعمق التجربة، والتألم لما يلم بالوطن من مصائب ونوازل.

## أولا: في حب مصر

الذي يقرأ لشاعرنا ويتأمل شعره يجد أنه غنى لمصر كثيرا، وتربع ذكرها على عرش أعماله الشعرية، إذ ملأت البهجة قلبه لأفراحها، وبكى لها أتراحها وأحزانها، وأشاد بعظمتها ومكانتها بين البلاد العربية، جاء ذلك في نسيج

شعري متميز، وأسلوب قوي، ومعان دقيقة نابعة من قلب متلهف، ورافد وطني عميق، وشعور صادق تأصل في قلب الرجل نحو بلده وشعبه.

لقد أحب حسن فتح الباب بلده بدافع الانتماء والوطنية التي تغلغلت في أعماقه وتمكنت من قلبه ومشاعره، وانتقلت إلى شعره، فجاء يجسد هذا الحب وهذا ما تفصح عنه أشعاره الكثيرة في هذا المجال. من هذه النماذج التي يعبر بها عن عشقه وولهِهِ بهذا الوطن، قوله من قصيدة (الجذور):

**لك العشق يا وطني أيُّها الأبدُ المتحول...**

**لك العشق يا أيها الوطن المتجوّل...**

**أيا وطن البسط والقبض والوجد والفيض**

**يا وطن الحُلم والرفض**

**يا أيها الشجن القاهر المستحَب الذي**

**يسكن النفي يسكنني عشقك المستميت(١).**

إن تكرار حرف النداء (يا)، وتكرار لفظة (وطني، وطن) أكثر من مرة يكشف عن عشق لهذا الوطن، وحب ساكن في فؤاد الشاعر لا ينفصل عنه ولا ينفصم، بل هو جزء أصيل في شخصيته، يؤكد ذلك قوله: (يسكنني عشقك)، وكأن العشق يسكن قلب الشاعر لا يبرحه ولا يحيد عنه.

إن مصر عند الشاعر أنشودة الحياة التي يتغنى بها، هي الوطن: الحلم والأمل، يقول مترجما هذا الإحساس من قصيدة (رسالة إلى القاهرة):

**مدينتي**

**يا راية الأجيال، يا أنشودة**

---

(١) الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب: ٢٢/٢، ٢٣.

الحيـــــــــــــــــــــاة

يـــــــــــا جـــــــــــنتي

رمى بي المطاف بين أعين العناة

ورحلة الشباب في حماك لم تطل

وما خبا الحنين في دمي، ولم تزل

أنفاسي الحرار تستحث عودتي

فداك مدمعي العصي يا مدينتي

فـــــــــداك لـــــــــوعتي(١).

كلمات شعرية نابعة من قلب الشاعر، فتصل إلى قلب المتلقي، وهذا دليـــل صدق التجربة الشعرية، فنشعر ونحن نقرأ هذه الكلمات بشاعر أرّق الشوق إلى الوطن مضجعه، وألهب الحنين جوانحه، وبدت عليه آيات اللوعـــة والاشـــتياق للوطن، يظهر ذلك في الكلمات: (أنشودة، جنتي، الحنين، دمي، أنفاسي، فـــداك، مدمعي، لوعتي).

هذه الكلمات تكشف عن محب ولهان، وحنين ظامئ يتمنـــى العـــودة إلـــى موطنه الذي غاب عنه كثيرا في رحلة طويلة، فمهما تناءى به السفر، وطالـــت به الرحلة، يظل مشدوها ومشدودا إلى وطنه، ويبقى قلبه ينبض في حناياه بحب هذا الوطن، فهو يتوق للعودة إلي وطنه أينما حل وارتحل، فهـــو عنـــده رايـــة الأجيال، وأنشودة الحياة، وجنته التي يأوي إليها، والعودة إليه حصول ذي الغلة الصادي على الماء العذب الفرات.

(١) الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب: ١٠٣/١.

لقد أحب شاعرنا مصر حبا جما، وراح حبها يسري بين جوانحه وفي دمه، وكأنها فتاته التي يحلم بها ويتمنى لقاءها، تمنى أن تحرسها الإرادة الإلهية من حسد الحاسدين وكيد الكائدين والناقمين، فهي عنده سلوة العاشقين، وبيت القصيد، لذا راح يؤكد على تفانيه في الدفاع عنها من رجم الطغاة، ويقدم نفسه فداء لها من ظلم البغاة، يقول من قصيدة (تراتيل في محراب مصر):

**أحبك محروسة من سهام العداة**

**ومن شر حسادك الناقمين**

**ومن راجمات الطغاة**

**أيا سلوة العاشقين**

**وأيقونة الملهمين**

**وبيت القصيد**

**وأفديك حين يسومك سوء العذاب**

**فلول التتار(١).**

وحب الوطن المسيطر على الشاعر، المتغلغل في أعماقه، وقد ألهب جوانحه الملتاعة جعله يتألم حين تلم بالوطن ملمة، أو تنزل به نازلة، فكما غنى الشاعر في أفراح وطنه، تألم لمصابه، وبكى آلامه.

لقد فرضت الوطنية والإنسانية على شاعرنا أن يبكي مصاب وطنه إذا نزلت به نازلة، ومن ذلك ما ألمَّ بأطفالنا في مدرسة بحر البقر وقد قتلهم بني صهيون بقنابل "النابلم" وهم في رحاب العلم في فصولهم يستمعون الدرس.

---

(١) أرقني الشوق إلى العادلين من وحي ثورة ٢٥ يناير وقصائد أخرى، شعر حسن فتح الباب، ص ٧٥، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٣م.

أثرت هذه الحادثة في شاعرنا تأثيرا بالغا، وألم به الحزن والألم الذي فجر شاعريته، فراح ينعى أطفال مدرسة بحر البقر في قصيدة تقطر دما، وتفيض ألما وحزنا على هذه البراعم المخضرة التي جفت أوراقها قبل أوانها، وتلك الزهور التي قطفت قسرا قبل نضوجها؛ يقول الشاعر في قصيدة: (أطفال بحر البقر)([1]).

**لا تأسوا، لن تفتقدونا**
**فسنبقى أحياء**
**شهداء عليهم**
**وسيبرأ جرحانا.. ويجف الدم**
**لن نسمع أصوات النابلم**
**لن نتألم**
**وسنبقى نتعلم.. نحلم**
**ستموتون.. وتحيون.. وتنتصرون**

بهذا الاستهلال المفجع راح الشاعر ينعى هذه الزهور، شهداء العلم والمعرفة، لقد قتلوا لكنهم لا يزالون أحياء في قلب كل مصري ووطني غيور على وطنه وقومه، وهذا ما يؤكده الطباق بين ( ستموتون/ وتحيون)، سيبقون أحياء في قلب من يمتلك قدرا من الإنسانية والضمير الحي.

ثم راح الشاعر يوثق هذه المذبحة التي تدمي الفؤاد، ويأسى لها قلب الشجاع في هذه الكلمات التي ستظل شهادة على خسة ونذالة العدو الصهيوني الذي استباح قتل البراءة، قتل الأطفال الصغار، يقول:

---

(١) الأعمال الكاملة: ٤٣٣/١، ٤٣٨.

لا تأســـــوا.. فســـــنبقى أحيـــــاء
نشـــهد أول فجـــر بعـــد الطوفـــان
نشـــــهد مـــــيلاد الإنســـــان
ونغـــني في الموكـــب تغمرنـــا البهجـــة
أيـــــدينا في أيـــــدكم تخفـــــق
والأنفـــــاس الحـــــرى تتهـــــدج
إلا غيمـــة حـــزن بيضـــاء تعلـــو الأوجـــه
تخبو..تتـــــــــــــــــــــــــوهج:
أنّـــــا مـــــا زلنـــــا أحيـــــاء
لكنـــا ســـنظل- ويـــا للحســـرة- أطفـــالا
وتظـــــل أصـــــابعنا المحترقـــــة
تتساقط فـــوق الكراســـات حروفـــا حمـــراء
ونظل نشير – بغـــير عيـــون نختـــرق الأفـــق
للطيـــارات وراء الســـحب البيضـــاء
تعـــبر كـــل صـــباح نحـــو الشـــرق
وتذوب الأصداء وتخمد أمواج اللهب الأزرق
ويدوي نـــاقوس الصـــبح لنصـــطف فنبـــدو
كوكبـــــة مـــــن فرســـــان
تترصـــــــــدها الأعـــــــــداء

إن بروز الفعل المضارع (تأسَوْا، نشهد، سنبقى، تغني، تغمرنا، تخفق، تتهدج، تعلو، تخبو، تتوهج، تظل، تتساقط، نظل، نشير، نخترق، تعبر، تذوب، تخمد، يدوي، نبدو، تترصدها) والذي يدل على الدوام والاستمرار والحركة المتتابعة يشير إلى حزن عميق سيطر على الشاعر، ويكشف عن أنين طويل ألمّ به، وجرح غائر لا سبيل له أن يندمل.

كما تشف هذه الأفعال المضارعة عن تمكن هذا العدو الصهيوني من هذه الزهور اليانعة، وعلى خسة ونذالة ذلك العدو المتخاذل الذي لم يجد أمامه إلا قتل الأطفال الأبرياء الذي لا ذنب لهم.

ونري قوله: (وتظل أصابعنا المحترقة / تتساقط فوق الكراسات حروفا حمراء) تعبير قوي يكشف عن عمق المأساة، وفداحة الخطب، وشدة الرزء، ويؤكد أن هذه الحادثة قد أثرت في نفس الشاعر تأثيرا بالغا، جعلته يبكي هذه البراعم في هذه السطور الشعرية التي تشف عن جوانحه الملتاعة، وأنينه الطويل، وحزنه العميق المتمكن منه.

إن حسن فتح الباب أحب مصر كثيرا، وغنى بحبه لهذا الوطن، وعلا صوته تعبيرا عن عشقه له، كما أنَّ لمصابه وتألم لأحزانه، وجاءت أشعاره في هذا المجال تكشف عن شاعر وطني سيطرت الوطنية عليه، يشعر بعمق المأساة، صادق التجربة، قوي الإحساس، عميق الشعور(١).

(١) غني الشاعر كثيرا لوطنه مصر وكثرت قصائده التي تؤكد على انتماء خاص لهذا الوطن وما ذكرته هنا غيض من فيض، وهو يؤكد على وطنية الشاعر وانتمائه لوطنه. انظر: على سبيل المثال في الأعمال الكاملة القصائد::أغنية للسد العالي ١/ ٤٧، أغنية من بور سعيد ١/ ١٧١، قصائد من بور سعيد ١/٥٧٤- ٥٨٢، إلى الملتقى يا نخيل السويس ١/ ٤٦٩، وطن ١/ ٦١٧، تستيقظين الآن إلى مدينتي١/٦٤٤، قرطاج.. رؤيا مصرية١/ ٦٥٤، طيبة١/ ٦٥٧. مواويل النيل المهاجر ١٣٥/٢، إسكندرية ٢/ ٤٠١، والأغاني وطن=

## ثانيا- التغني بالانتصارات المصرية

أشاد حسن فتح الباب بالانتصارات التي توج بها جنودنا البواسل هامة مصرنا العزيزة؛ فلم يكن وهو الوطني الثائر المهموم بقضايا وطنه العاشق لترابه أن تمر الذكرى دون أن يتغنى بهذا الانتصار، ويعيد للذكرى بهجتها، ويذكر جند مصر البواسل الذين ضحوا بالغالي والثمين لأجل رد كرامة المصريين، واسترجاع حريتهم المسلوبة.

من هذه الانتصارات التي رفعت من الروح المصرية وأثبتت شجاعة الجندي المصري وبسالته في الدفاع عن أرضه- انتصار السادس من أكتوبر المجيد، ومن قصائد الشاعر المفعمة بصدق المشاعر، وقوة الأحاسيس نحو بلده ووطنه مصر: (ذكرى أيام النصر) يصور فيها البهجة التي عمت أرجاء الوطن، والفرحة التي ملأت قلوب المصريين لانتصار أكتوبر، ذلك الانتصار المؤزر الذي هتك ستر الصهاينة، وجلّى حقيقة اليهود، وهي تؤكد حس الشاعر الوطني، وتبرهن على مدى صدق التجربة، يقول مستهلا بالبهجة التي تضيء

**العيون وتبهج القلوب:**

**تستعلي الأعناق الولهى بعبير الأرض**

**ويرتفع النهر**

---

=٢/ ٥١١، ٢/ ٦٢٠، وغيرها.

وانظر: ديوان أرقني الشوق إلى العادلين، الذي سطره الشاعر لأجل مصر من وحي ثورة الخامس والعشرين من يناير ٢٠١١م. انظر على سبيل المثال القصائد: تنفس الصباح ص٥، شباب يناير ص ١١، هناك في محطة التحرير ص ١٧، العصا والثورة ص ٥٩، أنا.. من أنا ص ٧٧، أرقني الشوق إلى العادلين ٩١. وغيرها من القصائد التي سطرها الشاعر في حب مصر.

تتشـــــابك أيـــــدي العمـــــال
يتوهج فوق مداخنهم نجـــم الفجـــر
وتضـــــئ عيـــــون الأطفـــــال
في ذكـــــرى أيـــــام النصـــــر(١).

المتأمل الكلمات (تستعلي، يرتفع، تتشابك، تضيء) يجد أنهـــا تـــدل علـــى البهجة والسرور والفخر بهذا النصر العظيم، فقد التحم الجميع معا، وأضـــاءت العيون بالبهجة والفرحة العارمة، كما تكشف عن الحالة المزرية التـــي كانـــت تعيشها البلاد قبل نصر أكتوبر الذي هتك عرى الهزيمة، وكشف الغمـــة التـــي أطبقت على قلوب المصريين بعد هزيمة يونيو ١٩٦٧م.

ثم يشيد الشاعر ببسالة الجنود المصريين وشجاعتهم في تحطيم أســـطورة خط بارليف المنيع، وعبور قناة السويس في بسالة وشجاعة واضحتين، فيقول:

مـــــــــات الخـــــــــوف
.. يا شعبا لم يخرج يوما من جوف الحوت
إلا صـــــرَع الـــــوحش الأبكـــــم
واســـتفتح باســـم الله يشـــق الـــيم
يـــــــذرو أحشـــــــاء الـــــــوهم
ويفجـــــر أنهـــــار الحـــــب الأعظـــــم
حلـــم الفرســـان الرهبـــان الشـــعراء
تحت الطين المنصوب بيوتا... آنية الـــدم

(١) الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب: ٥٥٨/١.

تحـــت الجبـــارين المغمـــورين الرحمـــاء
مرحـــــى يـــــا ملاحـــــي الإعصـــــار
شدوا أحبال ســـفينتكم فـــوق النـــوء
ســـــــدوا عـــــــين الشـــــــمس
مطـــــرا يلقـــــف أعـــــتى الأمطـــــار

يشيد الشاعر ببسالة الجندي المصري وهو يشق عبـاب البحـر ليسـتعيد الكرامة المسلوبة التي ضيعتها هزيمـة يونيـو ١٩٦٧م، وأهـدرها اليهـود،ثم يحرض – وقلبه يمتلئ بالثورة – أبناء مصر البواسل أن يقفوا يدا واحـدة فـي مقاومة الإعصار الصهيوني ليكونوا كصيب من السـماء ينـزل علـى العـدو ليزلزله ويهز أركانه، فلا يبق منهم ولا يذر.

لقد راحوا يضحون بالغالي والثمين، يضحون بأنفسـهم وأمـوالهم، ومـا ضعفوا وما استكانوا، بل حملوا على عاتقهم الأخذ بالثار لهذا الشـعب الثـائر، والوقوف في وجه المستعمر والنيل منه ليعود من حيث أتي خاسـئا مـدحورا، ورفع راية الحرية لترفرف عالية خفاقة في قلوب المصريين.

ولا ينس الشاعر أن يشير إلى المدد الرباني الذي كـان مـؤازرا للجنـود البواسل في القضاء على المستعمر، إذ علت أصـواتهم باسـم الله، الله أكبـر، وقضت مشيئته– سبحانه– أن يكون النصر حليفا لهذه الفئة التي تشـيد بـذكره، وتكبره، ولم يبق للمستعمر إلا الخزي والعار، وجرح الهزيمة الذي لا يندمل.
ثم يعود الشاعر يؤكد على قوة الجنود وبسالتهم وما تركته هذه الحـرب وتلـك الهزيمة المخزية من أثر بالغ في نفوس اليهود، فيقول:

لا تأسوا.. رحلتكم كانت ريحا هوجـاء
كانت نصلا يغشى أجفان الأحياء الموتى

سـهما في جمجمـة الجبنـاء الحمقـى
أعـوادا إن تمسـها النـار تشـتد
لا تأسوا.. رحلتكم كانـت في الغـد
العود حميـد يـا عشـاق الإنسـان
غنـوا في ذكـرى أيـام النصـر
مـوال الصـبر

لقد استطاعت البحرية المصرية أن تسترد المجد المسلوب، وتبعث البهجة في القلوب، هذه البهجة التي كانت حلما يأبى أن يتحقق، لكن سواعد جنودنا البواسل أبت إلا تحقيقه وتحطيم الأسطورة.

وقد عاش الشاعر هذه الأحداث وأحس بلهيبها يحرق قلبه ويمس وجدانه، وقد أدرك أن خطرها لا يقف عند الحدود الجغرافية فقط بل يتمادى لينال من هويتنا ولغتنا ودِيننا وأبنائنا، لذا راح يؤكد على عمق الجرح الذي سببه جند مصر البواسل للإسرائيليين، ومدى الخزي والعار الذي لحق بهم، إذ كانت هذه الحرب جرحا غائرا أثر تأثيرا بالغا في الإسرائيليين، ونصلا أصاب قلوبهم، وكان هذا النصر ريحا صرصرا عاتية أتت على بني صهيون فأجهزت على تفكيرهم، وجعلتهم يعيدون التفكير في أمر مصر وجيشها وشعبها.

وأرى وكأن الشاعر يصيح في الجنود وتعلو نبرات صوته ليؤكد لهم على عظمة هذا الانتصار، ويكشف عن عزيمتهم وبسالتهم في الذود عن وطنهم واستماتتهم في استعادة الكرامة المصرية، وما ذلك إلا صدى ما يمور في نفس الشاعر من مشاعر وأحاسيس صادقة تكشف عن حس وطني سيطر على الرجل وملأ ما بين جوانحه، فترجمه في هذه الكلمات التي أرى لها صليلا كصليل الخيل في المعركة، ووقع كوقع السيوف على المضارب.

وفي قصيدة أخرى يطل علينا الشاعر في ديوانه بنسيج شعري ثائر يشيد فيه بجنود مصر البواسل وصمودهم أمام العدو الإسرائيلي في جزيرة شدوان(١) حين قاوموا – وهم قلة قليلة– العدو الصهيوني بأسلحته المتطورة، وطائراته الأمريكية الصنع أيام حرب الاستنزاف١٩٧١م، دافعوا عنها ووقفوا للعدو الإسرائيلي وقفة لن ينساها التاريخ، فسطروا أسمى آيات البطولة في سجل العزة والكرامة، والاستماتة في الدفاع عن الوطن.

يقول الشاعر – على لسان شدوان– مشيدا بأولئك الفتية الذين كانوا يحرسون هذه الجزيرة يقبعون عندها لحمايتها من العدو المتربص بها ليل نهار، يريد أن ينقض عليها، وكانت هناك مجموعة قليلة العدد والعدة من الصاعقة المصرية البحرية والبرية لحراسة الفنار الذي يقع جنوب هذه الجزيرة، يقول الشاعر:

**مرحى يا أحباب**
**تلمع شمسي فوق جباهكم السمراء**
**وتسيل على الجبهة أنداء الصبح ورائحة الأعشاب**
**هاأنتم بين الموجة والنجمة**
**خلف عيون مدافعكم تحت الأفق الممتد**
**أقباس تشعل قلب الظلمة**
**أنفاس تخفق فوق المد**

(١) شدوان: جزيرة صخرية صغيرة تقع في وسط البحر الأحمر، مساحتها ٧٠ كيلو متر تقريبا، تقع بالقرب من مدخل خليج السويس وخليج العقبة بالبحر الأحمر، وعليها فنار لإرشاد السفن وهي تبعد عن الغردقة ٣٥ كيلو متر، وكانت تؤمنها سرية من الصاعقة المصرية، ورادار بحري.

مـــــا زدتم عـــــن آحـــــاد.. عشـــــرات
مائـــــــــة بضـــــــــع مئـــــــــات
لا ضـــــــــــــــــــــــــــــير
في ســـــنوات المحنـــــة تنمـــــو ذرات الرمـــــل
تغـــــــــدو الـــــــــذرة صـــــــــخرة
يغـــدو عـــود الحنطـــة ســـيفا في كـــف الحـــق
والأشـــــجار صـــــفوفا مـــــن فرســـــان
ورياحـــــا تـــــذرو صـــــرح الإفـــــك
تُســـــــقط أســـــــراب الغربـــــــان(١).

اعتمد الشاعر في تصويره على التجسيد والتشخيص، فجسد الظلمة وجعـل لها قلبا، والأنفاس تخفق، وجسد الحق وجعل له كفا يمسك سيفا، وللإفك صـرح تذروه الرياح، كما شخص الأشجار وجعلها فرسانا تدافع عـن شـدوان ضـد المعتدين، وفي هذا ما يضفي على الصورة الإثارة والحركة، ويتوجها بالمرونة والحيوية.

وكانت فئة قليلة من الجنود يحمون شدوان من العدو الإسرائيلي أيام حرب الاستنزاف، إذ كانت المعارك تدور بين القوات الإسرائيلية وقواتنا المسلحة فـي عدة مواقع على طول الجبهة، حتى كان النصر حليف جنودنا البواسـل وولـى الأعداء مدحورين مخذولين(٢).

---

(١) الأعمال الكاملة: ٣٧٩/١- ٣٨٥.

(٢) هاجم الإسرائيليون جزيرة شدوان فجر الخمـيس الموافـق ٢٢ ينـاير عـام ١٩٧٠م، وشهدت الجزيرة ملحمة شعبية، تقاسم فيها أبناء محافظة البحر الأحمر مع جنـود القـوات المسلحة الصمود أمام قوات الاحتلال حتى كان النصر.

إن قلب الشاعر يشتعل بالثورة والنضال، ويلفه حب الوطن، لذا علت صيحاته في عزيمة وشموخ مشيدا بشجاعة الجندي المصري وبسالته في الدفاع عن وطنه وأرضه، يقول:

**إنا نعرف كيف نخوض بحار النار**

**في حب الأوطان**

**نعرف كيف نحيل القلب الدافق بالحب**

**قنبلة.. لغما للأقدام الموصومة باللعنة**

**نعرف في ساعات المحنة**

**كيف نحيل الأشجار صفوفا من فرسان**

**ورياحا تذرو صرح الإفك**

**تسقط أسراب الغربان**

**لن تسقط شدوان**

لقد دافع جنودنا البواسل عن شدوان دفاعا أبانوا فيه عن قدرتهم القتالية وعزيمتهم القوية، وصمودهم حتى النصر، وقد أظهروا بطولات سجلها التاريخ بحروف من نور، وأثبتوا لبني إسرائيل بل للعالم كله أن الجندي المصري لا يقهر، إذ استمر العدو في محاولاته للسيطرة على الجزيرة ومنع الإمداد الذي يأتي للجنود المصريين من خلال البحر، لكنهم فشلوا رغم تفوقهم العددي، والقصف الجوي العنيف، والإمدادات الكثيرة التي كانت تأتي إليهم.

إن شدوان لم تكن جزيرة في البحر فحسب بل كانت رمزا للبطولة والإباء والعزة والكرامة، كانت معركة ملحمية أضافت صفحة في سجل البطولات الخالدة للجيش المصري، ورجاله البواسل، أثبتت شجاعة الجندي المصري،

وأكدت على نضاله المستميت وصموده في مواجهة العدو الصهيوني الغادر لنيل حريته، والحصول على استقلاله وعزته(١).

## ثالثا: الإشادة برموز الوطنية وأبناء مصر البواسل.

أشاد حسن فتح الباب بأبناء مصر البواسل الذين جاهدوا من أجلها، ورموز الوطنية الذين ضحوا بالغالي والثمين لنيل حريتها، واستعادة كرامتها المسلوبة، والحفاظ على بقاء الوطن عزيزا شامخا لا يهان أبناؤه، ولا تهدر كرامة شعبه.

ومن هؤلاء الذين ناضلوا من أجل مصر واستقلالها: الرئيس جمال عبد الناصر، فنجد شاعرنا يدعو عبد الناصر للعودة إلى حكم البلاد بعد تنحية عن الحكم عقب هزيمة يونيو ١٩٦٧م. وجمال عبد الناصر معدود من عظماء الوطنية في مصر، وقد ضرب مثلا رائعا في التضحية والفداء، وتحمل كثيرا من الجهاد في سبيل استقلال الوطن والحصول على حريته، يقول الشاعر من قصيدة: (أغنية إلى جمال عبد الناصر)(٢).

**الأمهات والصبايا الصغار**

**يستعجلون طلعتك**

**تخرج تملأ العيون... تحمل البشارة**

**ينتظرون عودتك**

إن شعب مصر ينتظر عودة القائد البطل ليعيد إلى مصر عزتها وكرامتها، ويصحح الخطأ ويضبط المسار كي تسير سفينة الحرية في طريقها، وتجلو

---

(١) من القصائد التي أشاد فيها الشاعر بالانتصارات المصرية أيضا قصيدة: لحن أكتوبر الأعمال الكاملة: ١/٥٤١. وقصائد من بور سعيد: ١/٥٧٤- ٥٨٢.

(٢) الأعمال الكاملة: ١/ ٣٢٨.

ملامح النصر، ولن يتأت ذلك إلا بعودة القائد مرة أخرى ليقود البلاد إلى طريق النصر والاستقلال، والحرية.

والشاعر يؤكد على وطنية عبد الناصر وحبه لبلاده، وتفانيه في الدفاع عن وطنه، واسترداد حريته المسلوبة، فيرى في كفه النور الـذي يضـيء جنبـات مصر بالبهجة والسرور والنصر على أعداء الحرية، فهو البطل المغوار الـذي لا يشق له غبار، وهو المناضل من أجل حرية بلده ووطنـه وأمتـه، ونمـوذج الابن البار لبلده وشعبه:

**قامتك الشماء قلعة المدينة**

**كفك توقـد المصـابيح**

**تصـــد الـــريح**

**تشـل أقـدام الظـلام**

**الله يـــا بطـــل**

**يـا فـارس الأمـل**

.....

**يـا غـرس أيـدينا**

**يـا سـر وادينـا**

**يا روح شـعبنا النبيـل**

**لا تحتجـــــب**

لقد استطاع عبد الناصر أن يجذب إليه قلوب المصريين بعد عنايته بالفقراء والفلاحين والطبقة الكادحة التي ذاقت ويلات الفقر والجوع، وأخذه الحـق مـن

دولة الإقطاع التي كانت تسرق أموال الشعب الكادح؛ وحب الشاعر لعبد الناصر جعله يتغنى بشجاعته وحسن قيادته للبلاد، ويشيد بأمجاده، يقول:

**الله يـــــا درع العنـــــاه**

**أيـــة نـــار أنضـــجت عـــودك**

**يا أنضر الأعواد في حديقة الرجال**

**يا أصلب الرمـــاح فـــوق نيلنـــا**

**يـــــا ســـــلوة الجـــــراح**

**يـــــا خبزنـــــا وملحنـــــا**

**يـــــا عـــــرق الأجـــــير**

**وابتســـــــامة الصـــــــغير**

**يا فارســـا أطـــل مـــن تاريخنـــا**

**حبـــــا يضـــــيء في عيوننـــــا**

**ترنيمـــــــــة في المعبـــــــد**

**تكـــــــبيرة في المســـــــجد**

**يـــــا نصـــــرنا علـــــى الهـــــوان**

**يـــــا قـــــاهر الأحـــــزان**

**لا تـــــــنس ميعـــــــادك.**

إن تكرار الشاعر لحرف النداء (يا) ثماني مرات يعمق حرصه – وقد كان يحيا هذه الظروف– وحرص شعب مصر على عـودة رئيسـه وقائـده ليقـود الجيوش المصرية في دفاعها المستميت ضد العدو الصهيوني، فهو الذي يقهـر

الطغاة بسواعد شعبه، وهو السبيل لإنقاذ الوطن الذي يقف على شفا حفرة من الانهيار حتى عودة قائده الحكيم ليعيد إليه توازنه.

هكذا نجد القصيدة مضفورة من النسيجين: التاريخ والواقع، أما التاريخ فهو مزيج من الحضارتين الفرعونية كما ترمز لها كلمة (المعبد) والعربية الإسلامية كما تتمثل في (المسجد) و(الفارس) وحدة واحدة. وأما الواقع فهو يتمثل في الزراعة التي يعيش عليها السواد الأعظم من المصريين منذ عصر الفراعنة راضيين بالحد الأدنى من الرزق وهو الكفاف (الخبز والملح) وذلك الواقع القديم الجديد على الرغم من خصوبة واديهم، إذ كان الحصاد نهبا للطغاة الأجانب أو أشياعهم في الداخل(١).

لقد كان عبد الناصر رمزا للوحدة، ورمزا للقائد الذي وحَّد البلاد، وإن خسر الشعب معركة لكن أعداءنا لن يستطيعوا كسر إرادة هذا الشعب، وبقاء البطل المهزوم رمز لبقاء هذه الإرادة، ووجود أنصاره من حوله درع يتقي به كيد الأعداء وسهامهم المسنونة (٢).

كما غنى الشاعر للشهيد فاروق نجم(٣) بطل معركة تدمير الصواريخ في سيناء في عمليات الاستنزاف سنة ١٩٦٨م، يقول من قصيدة (لحن من سيناء):

---

(١) انظر: أسمى الوجوه بأسمائها مذكرات د/ حسن فتح الباب: ص٢٩٠.

(٢) انظر- أيضا- غناء الشاعر بشجاعة عبد الناصر وحبه له في قصيدة فارس الأمل، الأعمال الكاملة: ٣٧/١، كما سطر حزنه وحزن مصر عليه في قصيدة (موت البطل). السابق: ٣٥١/١.

(٣) كان «فاروق نجم» أول شهيد يسقط في ميدان القتال بعد نكسة ١٩٦٧، وتحديدا في عمليات الاستنزاف التي خاضتها مصر ضد العدو الإسرائيلي عام ١٩٦٨م.

يـــــــــــا نجمـــــــــــي

يا نجمي المخضوب الجبهة بالدم

يـــــا نجمـــــي الغائـــــب

أين طواك الأفــق الشــاحب؟

يـــــا شـــــهداء المأســـــاة

يـــــا أشـــــباح الويـــــل

مـــــــــات الليـــــــــل

والـــنجم الجـــوّاب الثاقـــب

لم يقطـــــــــع مســـــــــراه

نداء مفجع يستهل به الشاعر راثيا هذا الرمز الوطني، وممجـدا الشـجاعة والبسالة في شخص فاروق نجم، ومصورا تأثير شدة وقع الرزء على قلبه الذي يشف عن حزن عميق لف الشاعر وسيطر عليه.

هذا الرمز الوطني الذي ضحى بنفسه من أجـل رد كرامـة المصـريين، واسترداد حريتهم المسلوبة معروف بنضاله المستميت، وتفانيه في الدفاع عـن وطنه، يقول الشاعر:

إني أعرفـــــــــــــــــــه

يرنـــــو بعيـــــون نـــــبي

يبســـم عـــن ثغـــر شـــهيد

يهبط غوثـــا للعـــاني في قريتنـــا

وشهابا يـــرجم إفـــك مـــدينتنا

وجناحـــا لغريـــب وطريـــد
يا زهرة وادينا الفواح بعطر الحب
وعـــبير ضـــحايا الحريـــة
بلبلك الليلة أوغـــل في مســـراه
يـــــأتي... لا يـــــأتي
يـــأتي لحنـــا مـــن ســـيناء(١).

**إن العبارات:** (غوثا للعاني، شهابا يرجم الإفك، جناحـا للغريـب، زهـرة وادينا، عبير ضحايا الحرية) تكشف عن بطل مغوار له أثر بيِّن في الذود عن الوطن ونيل حريته واستقلاله، وتشف عن وطنية واضحة يتسم بها ذلك الشهيد. مات فاروق نجم واستشهد في سبيل الدفاع عن أرضه ووطنه، لكنه ظل رمـزا للمنقذ، وغوثا للعاني، وصاعقة تنزل على المعتدين فتهلكهم، وشهابا يرجم الإفك في كل زمان ومكان، وزهرا يشتم أريجه الباحثين عن الحرية.

إن حسن فتح الباب بدافع من وطنيته المتوثبة بداخله، وحبه لأبناء مصـر البواسل الذين ضحوا من أجلها وناضلوا من أجل الحفاظ على كرامتها واسترداد حريتها، قد أفرد مساحة ليست بالضيقة في شعره لتمجيد تلك الرموز، وتخليـد ذكرى هؤلاء المناضلين البواسل الذين جاهدوا من أجلهـا، وضـحوا بالغـالي والثمين لنيل حريتها واستعادة كرامتها المسلوبة، ودحر المسـتعمر ورد كيـده، وهو بهذا يبرهن على وطنيته، ويؤكد حبه لوطنه، وفخره بأبنائه البواسل(٢).

---

(١) الأعمال الكاملة: ٤٢٩/١.

(٢) أشاد الشاعر كثيرا برموز الوطنية ؛ ومن ذلك قصيدة: (أغنية حسني حماد) التي مجـد فيها بسالة وشجاعة حسني حماد بطل معركة شدوان. انظر: الأعمال الكاملة ٣٩٢/١.

## رابعا: الحض على الثورة، ومقاومة المستعمر، والدعوة إلى الحرية

رأى الشاعر وهو الوطني الغيور على وطنه أن أبناء مصر بل والعرب جميعا قد أصيبوا في عقر دارهم، إذ تسلط عليهم قوم بغاة وشرذمة مستبدون، سرقوا الخيرات، ووأدوا الحريات، ونالوا من الكرامة المصرية والعربية، فعلت صيحاته منددا بالمستعمر، وانطلقت صرخاته محذرا من خداعه محرضا على مقارعته بشتى الطرق.

يقول الشاعر محدثا عن نفسه: "وأعتقد أنني شاعر مقاوم في المقام الأول، ولكنها المقاومة بالمعنى الواسع العميق، أي مقاومة كل ما يصادر حق الإنسان في الحرية والعدل، وفي تقرير مصيره وفي ازدهار ملكاته"(١).

من النماذج حرض فيها الشاعر على الثورة ضد الظلم والاستبداد، والوقوف في وجه البغاة محرضا على النضال والمقاومة في كل مكان، ورد كيد الكائدين، والوقوف في وجه المعتدين قوله من قصيدة (تراتيل في محراب مصر) مخاطبا وطنه مصر:

**ولا تخضـــــــــــــــعين**
**وتصـــــــطبرين ولا تنحـــــــنين**
**فإن طفـــح الكيـــل تنتفضـــين**
**كبحـــــــــــر غضـــــــــوب**
**كما يصخب النيل حين يفـــيض**

(١) انظر: مجلة الفيصل، العدد: ٢٥١، جمادى الأولى ١٤١٨هـ- سبتمبر١٩٩٧م، ص ١٥، وما بعدها، حوار مع د/ حسن فتح الباب، أجراه: طارق عبد الفتاح شديد.

وتنتشـــرين ألوفـــا ملايـــين
يـــوم ينـــاير.. كـــل ينـــاير
يـــــــزف البشـــــــائر
على وقع ناي لفـــلاح فصـــيح
تشـــيدين للفقـــراء حصـــونا
بهـــا يرجمـــون الطغـــاة
وتستشرفين بساتين من يـــاسمين
ومـــن لـــوتس ونخيـــل
لأنـــك ســـر دفـــين
لمعنى الوجود، وكنز الخلود(١).

حرض الشاعر كل مصري غيور على وطنه وبلده أن يناضل من أجلهـا، ويقف في وجه الظلم والاستبداد لتحقيق العدل الاجتماعي، وأمل المصريين فـي استنشاق عبير الحرية والحياة الكريمة، والتلاحم يدا واحدة من أجـل أن تبقـى مصر عزيزة أبية، تملك قرارها، وتحقق ريادتها للعالم العربي، محروسة مـن كيد الكائدين، فهي معنى الوجود، وسر الخلود.

كما علت صيحات الشاعر بالدعوة إلى الحرية، والخروج من ربقة المحتل الغاصب منددا بالاستعمار وأساليبه، عاملا على تعرية نواياه الخبيثـة، التـي تفصح عن حقد دفين يود أن ينفثه في صدور العرب والمسلمين.

من قصائده التي نادى فيها بالحرية من قيود المستعمر، والاستقلال من براثن

(١) أرقني الشوق إلى العادلين ص ٧٥.

الغزو الفكري: قصيدة (من نحن )"([1]) يقول:

مـــــــدجج (راعـــــــي البقـــــــر)
بســـــــــــــيفنا ورمحنـــــــــــــا
بزيتنـــــــــــــا وقمحنـــــــــــــا
بمـــــا اكتســـــى مـــــن عرينـــــا
ومـــــا جـــــنى مـــــن رعاتنـــــا
مـــــن كيـــــدهم للأقـــــربين
وجبنـــــهم في ســـــاعة المواجهـــــة
نحن حمائم السلام في زمن الذئاب والأغنام
نهيل أكوام الرماد على قبـــور الشـــهداء

لبى الشاعر نداء مشاعره الفياضة بالوطنية، وراح ينســـج هـــذه القطعـــة الشعرية بخيوط الألم والحزن التي تدمي الفؤاد، وتجرع القلب فيضا من الأسى، فنراه يتألم من الضعف الذي حل بالأمة العربية، حين تركت بلاد الغرب يغزون بلادنا حسيا ومعنويا، لقد غزوْا عربيتنا في عقر دارهـــا، ونـــالوا مـــن هويتنـــا الإسلامية والعربية تحت شعارات خداعة، وقرارات براقة، ومؤتمرات رنّانـــة، ودعاوى مزيفة، ظاهرها فيه الرحمة، وباطنها العذاب والجحيم المستعر.

والشاعر يلفت الأنظار إلى ذلك الغزو الفكري الاســـتعماري الـــذي لا يغـــادر صغيرة ولا كبيرة إلا وغذاها بفكره المعادي لكل ما هو إسلامي وعربي، يعزّي فيه ما وصلت إليه الأمة من ضياع وتمزق، مستعرضا ما انتهكه المستعمر من

(١) على سلم من هشيم الرياح ص ٤٩.

حرمات، وما اغتصبه من حقوق، حتى وجدنا عقول أبنائنا خاوية على عروشها من كل فكر رشيد، أو رأي سديد.

والشاعر يؤكد على عروبتنا المسلوبة، وهويتنا التي نال منهـا الاسـتعمار والغزو الفكري، فيتساءل ساخرا ومستنكرا:

**مـــــــن نحـــــــن؟**

**نحـــن نـــافحو الـــنفير**

**وحاصـــــدو القتـــــاد**

**من نحن؟ مشعلو الرفات**

**في طلـــــل الفقـــــر**

**حثالـــــة للأمكنـــــة**

**نفايـــــة للأزمنـــــة**

**نحن الرعـــاة الميتـــون.**

استفهام إنكاري يستهل به الشاعر ليؤكد على عمق الجرح في نفسه، وأثره العميق في قلبه، وحزنه على ما آلت إليه أمتنا العربية، مستعرضا مـا انتهكتـه قوى الاستعمار من حرمات الأمة، وما اغتصبته من هويتها.

إن تكرار هذا الاستفهام الإنكاري (من نحن؟) يقذفه الشاعر في قلـب كـل مصري خاصة وعربي عامة لزلزلة قلوبهم، وقرع آذانهم عسى أن ينتبهوا مـن سباتهم، ويهبوا من رقدتهم لمجابهة العدو المستعمر المتغلغل في أراضيهم، يريد سرقة عقول أبنائهم وشبابهم، ولكن أني ذلك وقد تلاشت النخوة فـي القلـوب، وماتت النجدة، والتحف العرب بالتخاذل، وأصبح الكل مشغول بنفسه.

إن شاعرنا نادى بالنضال من أجل الحصول على الحرية، وحض على مقاومة المستعمر بشتى الطرق والوقوف له، واسترداد الحرية المسلوبة، وفي سبيل ذلك راح يندد به وبأساليبه، ويحذر من طرقه في تخدير العرب والضحك عليهم بالشعارات الرنانة، والمؤتمرات البراقة(١).

(١) دعا الشاعر كثيرا إلى الحرية، وحض على الثورة، ومقاومة المستعمر وكثر ذلك في شعره: انظر: الأعمال الكاملة: ١/١٨٨، ١٩٢، ١٩٥، ٣٥٦، ٢/٤٢٨، ٤٤٦، ٥٩٦، ٣٣٠، على سلم من هشيم الرياح ص ٢٣، ١٠٦، وغيرها من القصائد.

# الفصل الثاني
# القضية الفلسطينية

## مدخل: فلسطين في عيون الشعراء

شغلت القضية الفلسطينية والاحتلال الإسرائيلي لفلسطين حيزا كبيرا من دواوين الشعراء في القرن العشرين حتى الآن، تحدثوا عنها، ودعوا إلى مقاومة المحتل، ونددوا بالمستعمر، وكشفوا عن عورات بني صهيون فبينوا للناس زيفهم وخستهم وجبنهم؛ "ولم يعرف ذلك القرن على امتداده قضية شغلت الضمير العربي وأرقته ورهنت السياسات القطرية بها ولاسيما في المشرق العربي كقضية فلسطين"(١).

هذه المأساة الفاجعة التي تعيشها فلسطين منذ أكثر من نصف قرن من الزمان ألقت بظلالها الداكنة على أبناء الأمة العربية جميعا، "وقد هزت عواطف العرب هزا عنيفا، فترقرقت دموعهم حارة ملتهبة، واتقدت جذوات الحزن والحسرة في جوانحهم المشتعلة، وقام الشعراء في شتى الحواضر العربية بتخليد المأساة واستنهاض الهمم"(٢).

فبعد احتلال إسرائيل أرض فلسطين راحوا يستبيحون حرماتها، ويقتلون أبناءها، ولم يرعوْا للإنسانية حقا، ولم يراعوا في أهلها إلاً ولا ذمة، فقتلوا الغض الغرير في حضن أمه، والشاب الفتِيّ بين إخوانه وأهله، والرجل أمام

(١) الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا: د/ وهب رومية ص ١٦، ١٧، س عالم المعرفة، العدد: ٣٣١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، رجب ١٤٢٧هـ- سبتمبر ٢٠٠٦م.

(٢) مجلة الرسالة السنة: العشرون، العدد ٩٩١، ٣٠ يوليو ١٩٥٢م. مقال الدكتور/ محمد رجب البيومي: الجواهري شاعر العراق ص ٧٣١.

زوجته، وقد استباحوا حرمات النساء العفيفات، وهتكوا أعراضهن أمام أزواجهن وأبنائهن، وسعوا في الأرض فسادا، وهدّموا المنازل على أهليها، وصوّبوا أسلحتهم في وجوه الأطفال والأيتام والأرامل، وقصفوا المدارس والمعاهد العلمية، والمخيمات بما فيها من لاجئين، ومجروحين ومصابين.

وقد التفت الشعراء الغيورون على إخوانهم في الأرض والوطن، والإسلام والعروبة لهذا الواقع الأليم الذي يحياه الفلسطينيون، فراحوا يعبرون عن سخطهم وتبرمهم من هذا الواقع المظلم، ومن هؤلاء شاعرنا حسن فتح الباب، فقد عاش الرجل هذه الأحداث كلها، وسجلها بقلبه قبل أن يسطرها شعرا بقلمه. راح الشاعر يسجل كل هذه الأحداث والقضايا، فلم يكتف بالدعوة إلى الالتفات لقضية فلسطين الشقيقة فحسب، لكنه تحمس للقضايا العربية جميعها في شتى أقطار العروبة، وكانت القضية الأولى التي شغلته أكثر من غيرها قضية فلسطين، أضنته هذه القضية وأثقل كاهله الهم الذي يحمله بين جنبيه من التفكير في شعبها الذي يحيا تحت وطأة الاستعمار، ويلقى الذل والهوان في ظل بغي وعدوان المستعمر اليهودي.

## أولا: التنديد بالمستعمر والحض على النضال والمقاومة

تفاعل حسن فتح الباب مع الأحداث منذ الوهلة الأولى وراح يشحذ الهمم، ويستنهض العزائم، ويحض على النضال والثورة على المغتصب، ويدافع عن الحقوق، كما لم يفته أن يستنكر التخاذل والصمت العربي المخزي، ويندد بتلك الشرذمة الموالية للظلم والعدوان، فوجدت في شعره ما ينبئ عن صدق الشعور، ولوعة الإحساس، وعمق التجربة، ويقظة الضمير، والشعور الحي بعمق المأساة.

في قصيدة (بين ماض وآت)([1]) يفجر الشاعر القضية الفلسطينية وهو الوطني الثائر التي طالما أقضت مضجعه هذه القضية، وطالما علت صيحاته وأناته الشعرية لها؛ يقول مستهلا بهذا الاستفهام:

ما الذي تشتهي؟
فلسطين تحمل أغلالها
ويبكي على كتفها الصليب
ويحني الصنوبر والغار أغصانه
كي يمر الشهيد
طريق العذابات يبكي ويَدمَي
بلحم يسوع صريعا
ومريم تبكي
يهوذا تطارد غربانه طيرها
تحاصر بستانها
وتفزعها بالنعيب

استفهام انكاري يقرع الأسماع يستهل به الشاعر هذه المأساة التي صنعها بنو صهيون في أرض العرب، يخاطب نفسه مستفهما، أو لعله يخاطب الضمير العربي أو الضمير الإنساني بعامة منددا بالمستعمر، ما الذي تشتهيه بعدما رأيت فلسطين ما زالت في أغلالها، والخراب والدمار يظلها، والحزن والألم يلفها.

(١) على سلم من هشيم الرياح ص٣-١٢.

وقد زاد الصورة تأثيرا ووضوحا عنصر التشخيص الذي اعتمد عليه الشاعر إذا أضفى على الجمادات الحياة وبث فيها الحركة، ففلسطين يثقل كاهلها ما تحمله من أغلال تقيد حريتها، والصليب على كتفها يبكي من شدة الألم والاستبداد والظلم، وهو رمز ديني يكشف عن تمكن العدو الصهيوني من مقدسات العرب جميعا مسلمين ومسيحيين، والأشجار تتمايل وتنحني طواعية كي يمر الشهيد في سلام، والطريق يبكي حزنا وألما.

هذا التشخيص يكشف عن تمكن العدو الصهيوني الغادر من فلسطين، وسعيه في أراضها فسادا وتدميرا، يقتل، ويهدم، ويشرد، كما أضفى هذا التشخيص على الصورة الحركة، وبث فيها الحيوية والإثارة والمتعة الفنية، وزين المعنى بالعمق والوضوح، وتوج الفكرة بالقوة والرسوخ، وأيقظ المتلقي، وجعله يشارك الشاعر تجربته، ويتفاعل معه.

ونلاحظ استحضار الشاعر لشخصيتي يسوع ومريم، وهو بهذا يكشف عن مدى البغي والعدوان، وما تفعله بنو صهيون في أرض العرب من الهدم والتخريب، وممارسة أبشع صور التنكيل والتعذيب والقتل والتشريد للشعب الفلسطيني، والقضاء على معاني الإنسانية.

وفي قصيدة أخرى يدعو الشاعر إلى النضال، ويحض على مقاومة المستعمر والوقوف له، مستبشرا بالخلاص والحرية والاستقلال من ربقة المحتل الغاصب، ويشيد بأطفال الحجارة في كل بلاد العرب الذي ضربوا أروع الأمثال في الدفاع المستميت عن الوطن، يقول من قصيدة (ترنيمة باسم طفل الحجر):

**سيلتئم الجرح قبل الغروب**

**وتندحر القرية الظالمة**

مياه المحيطات لا..لن تجف
وصوت الملايين لا يرتجف
صباحاها ملحمة
وما شفها من جراح
مصابيح ليلاتها القادمة
فهيئ يراعك لا ينقصف
سيرحل هذا الرحل
تألم.. تعلم
فإن الحجارة تهدي سواء السبيل(١).

يصرخ الشاعر في كل مسلم وعربي حر أن يهيئ نفسه للنضال ومقاومة الغاصبين، ويدعو بدافع من وطنيته وحسه الوطني، وانتمائه العربي المسيطر عليه إلى الثورة على المحتل الغاصب، والثورة على كل ظالم، ولو بالحجارة، وهو يرى أن النصر قريب، وحتما ستزول دولة الظلم، وتموت العجرفة الاستعمارية، وسيأتي اليوم التي تأتي الحجارة فيه بثمارها، لترفرف راية الحرية، وتُشفى الجراح، وتهدأ عيون الثكالى، وتقر عين الشهيد فرحا بما أحرزه أبناؤه وإخوانه.

وفي قصيدة (قمر قندهار) يقول الشاعر معرضا ومنددا بما تفعله قوى الاستعمار الباغية في فلسطين:

أيها الساجي الحزين
أنت وحدك شاهد الكون عليهم

(١) الأعمال الكاملة: ٤٨٢/٢.

فـــــارو للتـــــاريخ عنـــــهم:
مـــن تراهـــا قريـــة ظالمـــة؟
قرية الـــدولار والطـــاغوت أم
قرية الجوعى العراة الأشـــقياء؟!
وارو عنـــــــــــــــــــا
كيف كنا نسهر الليـــل معـــك
وتركنـــاك لتلقـــى مصـــرعك
بين أشـــلاء محمـــد (الـــدرة)
واســـــــتغاثات الـــــــبراق
أيها القمر الشاجي الطعين؟!([1]).

في إطار حواري يسال الشاعر نفسه جاعلا من القمر مخاطبا له، يخاطبه ويناجيه ليضع هذا السؤال أمام الإنسانية وأمام ضمير العالم: (من تراها قريـــة ظالمة؟ قرية الدولار والطاغوت أم قرية الجوعى العراة الأشقياء؟!) ولم يجـــب على السؤال بل ترك الإجابة لكل من له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد، فدولـــة الدولار راحت تدمر وتقتل وتفتك، وقد أطلقت سهامها المسمومة فـــي الشـــرق العربي تريد السيطرة عليه.

ثم يلفت الشاعر النظر إلى الفاجعة الكبرى في حق المسلمين والعرب، بـــل الإنسانية كلها، وذلك في صورة الطفل (محمد الدرة) الذي قتل غدرا برصـــاص اليهود الغادرين في حضن أبيه وبين يديه على شاشات التلفاز، أمام عين وبصر العالم كله.

(١) على سلم من هشيم الرياح: ص ١٠٤.

فالشاعر يستدعي هذه الحادثة المروعة ليقول للعالم أما آن الأوان أن تُحَل الألسنة المعقودة، وأن نحمل السلاح لتحرير الأقصى؟!، أما آن الأوان لسيف الإسلام أن يستل دفاعا عن حرمة الأقصى، واستجابة لاستغاثات البراق؟!.

ويحسن الشاعر التعبير في قوله:(استغاثات البراق) ليوقظ الحس الديني لدى المتلقي، ويشد انتباهه إلى تأمل مسرى النبي الكريم (ﷺ) ثالث الحرمين الشريفين، ومهبط الأنبياء، وليضع أيدينا على ذلك الجرح الغائر الذي لم يندمل بعد، وهو احتلال اليهود المسجد الأقصى وتدنيسه، وكأني بالأقصى يبكي وينادي في المسلمين وفرسان الحق في كل مكان: أين أنتم؟، أما آن لصهيل خيولكم أن يجلجل، ولسيوفكم أن تستل؟، من لي بحطين؟، أين أنت يا صلاح الدين؟!.

في هذا النسيج الشعري المحكم الممتع استطاع حسن فتح الباب أن يشد المتلقي ليشركه معه في همه الذي يحمله بين جبيه، استطاع أن يجره جرا إلى القول الفصل: دولة الظلم (الدولار)، أم دولة الجوعي والعراة؟، إن المسألة لا تحتاج إلى تفكير، لكننا للأسف حين نجد تراخي الأمة عن نصرة الحق ومؤازرة إخوانهم في العروبة حين يسلموا رايتهم لليأس والقنوط، يرى المعتدي أن الساحة خاوية له فيستمر في عدوانه وإفكه وطغيانه، فإذا نامت سيوف الحق، وتهاوت ألوية القوة الإسلامية والعربية، فما على بني صهيون إلا أن يتمادوا في القتل، والبطش، والتشريد، والتعذيب، والتهديد.... الخ.

كما راح الشاعر الوطني بدافع من انتمائه العربي وغيرته على المقدسات الإسلامية يزجي جمراته المتقدة في وجوه المعتدين، محرضا على الوقوف في وجوه بني صهيون، والتضحية بالنفس في سبيل عودة القدس الأسيرة، واسترداد الحرية المسلوبة، يقول:

يا قدس الإسراء... ويا ســـر الأبديـــة
يا شاهدة العصـــر المقتـــول القاتـــل
اللعنـــــة فـــــوق جـــــبين البشـــــرية
اللعنة فوق رؤوس الفرسان المقهورين
إن لم يهـــــو فـــــداك العشـــــاق
عشـــــــــاق الحريـــــــــة (١).

فالشاعر يذكر القدس، ويئن لسيطرة العدو الصهيوني الغاشم عليه، ويـــدعو عشاق الحرية أن يضحوا بالغالي والنفيس في سبيل حرية القدس، وأن يقـــدموا أرواحهم فداء لهذا الرمز الغالي على كل مسلم وعربي، ليندحر الباطل، وتشرق شمس الحق، ويستل سيف الحرية من جديد(٢).

## ثانيا: قتل الأطفال

ومن القضايا التي شغلت بال الشاعر وأضنته، وجعلتـــه يســـطر دموعـــه شعرا: قتل الأطفال بدون إثم أو ذنب اقترفوه، فقد أشاع الإسرائيليون في أطفال فلسطين القتل، والذبح والتشريد، وراحوا ينشرون الذعر بين الفلسطينيين، فكـــم فجّروا مدارس ومعاهد علمية بأكملها غير عابئين بحقوق الإنسان، وقتـــل هـــذه الزهور التي لم ترتكب إثما ولا ذنبا.

---

(١) الأعمال الكاملة: ٤٣٢/١.

(٢) بارك الشاعر انتفاضة الأقصى في أكثر من قصيدة. انظر: على سلم من هشيم الريـــاح قصيدة بين ماض وآت ص ١٠، ١١، و(قال العراف) ص ١٠٦، وأرقنـــي الشـــوق إلـــى العادلين قصيدة (أغنية العصفور الأخضر) ص ١١١.

ومن بين القصائد التي سطرها الشاعر للطفل الفلسطيني قصيدة (طائرة ورقية)([1]) ينعى فيها قتل الأطفال في المخيمات، مصورا اعتداء العدو الغاشم على تلك الزهور، وقد امتدت إليهم يد البغي والعدوان فأودت بحياتهم، يقتلون بهجتهم ويئدون السعادة في عيونهم.

يرصد الشاعر في قصيدته حال أم تبحث عن ولدها الصغير كان يلهو مع أترابه بطائرته الورقية، وفجأة تجد هذا الطفل مقتولا، يقول:

**خرجت تبحث في بهو الدار**

**في جنبات مخيم**

**عن قرة عينيها**

**طائرها المراح**

**فارسها المنذور لخوض اليم**

**بعد فراق الملاح**

**إن هي إلا خطوة**

**حتى سقطت تطلق صرخة**

**كانت تحت النافذة العلوية**

**أشلاء من طائرة ورقية**

**آثار من طلقات رصاص**

**بركة دم**

**وعلى غصن شجيرة كرم**

---

(١) على سلم من هشيم الرياح: ص ٨٤، ٨٥.

فـــــــــوق المهـــــــــــد
يتدلى عصفور في عمر الـــورد
بين شـــظايا حلـــم أخضـــر
وعلـــــى الأفـــــق تحـــــوم
غربـــــــــان ســـــــــوداء
تجتر قرابين الموتورون الحمقى
المخضوبة بـــدماء الأطفـــال
وأساطير الشـــذاذ الغرقـــى
في طوفان الحقـــد الأعمـــى

يفجر الشاعر في هذه القصيدة قضية لا تنتهي أحداثها، تقع كل يوم، وهـــي صورة من صور قتل الأطفال، ونحيب الأمهات الثكالى عليهم، الصورة الأولى تصور مشهدا واقعيا لطفل يلهو ويلعب بطائرته الورقية في أحلى أوقاتـــه بـــين اللعب والمرح، وفجأة إذ بيد البغي والعدوان الآثمة تقتل الفرحة، وتأسر البهجة، وتقتل هذا الغض الصغير.

والصورة الثانية صورة تتكرر لا تنقطع في فلسطين: صـــورة الأم التـــي كانت تنظر طفلها الصغير أمامها، وتتمنى بعيون يملؤهـــا مـــزيج مـــن الفـــرح والخوف والتأمل أن يشب هذا الطفل ويكبر ليكون في الغد (فارســـها المنـــذور لخوض اليم، بعد فراق الملاح)، وفجأة يموت هذا الحلم قبل أن يصبح حقيقـــة، وتقتل هذه الأمنية في مهدها، إنها الحسرة التي لا تستطيع الكلمات أن تســـجلها، ولا اللوحات أن ترسمها، إنها حسرة الأم على فقد وليدها الصـــغير فـــي عمـــر الزهور.

هكذا تحولت القصيدة إلى ملحمة، ملحمة في قلب تلك الأم الحزينة تتشابك فيها أحشاؤها حزنا على طفلها الغض الذي كانت تتمنى أن تراه رجلا يشد من أزرها، وينافح عن عرضها، ويقف للمستعمر الباغي بالمرصاد عساه أن يحرر الأرض، أو يحمي العرض، ولكن أنى ذلك، وقد بثت الأفعى سمها في وجه ذلك الغض الطري، فبات صريعا، لقد حال بين الأم الثكلى وبين تحقيق الحلم والأمل جبن اليهود وخستهم ونذالتهم، وانعدام الإنسانية في نفوسهم المريضة، وقلوبهم المتشبعة بالحقد والغل للإسلام والمسلمين.

إن محنة هذه الأم مع طفلها الصغير الذي قتله الأعداء ظلما وعدوانا، نراها تتخطى هذا الحدث الضيق أو المساحة المحدودة لتكتسب الشمول والعمومية، فمحنة هذه الأم هي محنة كل أم قاست وعانت مرارة الفقد والإحساس بالثكل بفعل المستعمر، هي محنة فلسطين، والعراق، ومصر، ومحنة المسلمين والعرب في كل زمان ومكان دنسه المستعمر(١).

هذه القصيدة تكشف عن حس وطني عميق سيطر على الشاعر لما تعانيه فلسطين من جراء الاحتلال الصهيوني الذي يقتل الأطفال، ويهدم البيوت ولا يرعى في الإنسانية إلا ولا ذمة، وقد علت صيحات الشاعر، وتألم كثيرا فكانت هذه الصرخة الشعرية وهذه الأنة المؤلمة التي تصيب القلوب فتصل إليها من أقرب طريق.

ونلاحظ أن الشاعر طعم قصيدته بالروح القصصية التي كثفت من إيضاح الحدث ولم شتاته، وإتقان الحبكة الدرامية، وكشفت عن فظاعة هذا العدو الصهيوني الذي يستبيح قتل الأطفال، ولا تتحرك مشاعره وأحاسيسه لأنين الثكالى– إن كان له شعور وأحاسيس.

---

(١) انظر: وطنيات هاشم الرفاعي ص ١٦٤.

وفي قصيدة أخرى يصور الشاعر إصرار بني صهيون على قتل الأطفال الفلسطينيين والبحث عنهم في كل مكان، ووأد هذه البراءة، وقتل البهجة في نفوسهم، والقضاء بشتى السبل على هذه البراعم الغضة، يقول من قصيدة (صبي من فلسطين):([1])

**لست وحدك**

**شاهد العصر عليهم**

**أحرقوا ملعبك الغض الصغير**

**كسروا أجنحة العصفور...عادوا**

**بيهوذا والصليب...**

ثم يؤكد الشاعر أن العدو الصهيوني الجبان لا يألو جهدا في البحث والتفتيش عن طفل يريق دمه، ويقتل الأمل في نفس أبيه وأمه، خشية أن يشب ويشتد عوده، فيدافع عن أرضه وعرضه، يقول:

**أيها الطفل الشقي**

**فتشوا عنك البرية**

**في الحصا.. في الصخر... فوق السحب**

**في قاع الحديقة**

**في بروج الإفك.. في قبو الحقيقة**

**في شعاع الفجر.. في الأرحام..**

**في موج الغدير**

---

(١) الأعمال الكاملة: ١/٤٤٥.

في أنابيـــــــــب الميـــــــــاه .... الخ.

**إن الأفعال:** (فتشوا، نقبوا، نبشوا)، تشف عن حركـــة متتابعـــة، وتحـــرك دءوب متواصل بحثا عن الأطفال وقتلهم أين ما كانوا، كما تؤكد تعمد هذا العدو الجبان قتل هذه الزهور قبل أن يشتد عودها، وتنضج ثمارها، كما يكشف تكرار الحرف (في) بالقلق المسيطر على هذا العـــدو المتخـــاذل مـــن تلـــك البـــراعم المخضرة، خشية أن يشتد عودها وتقوى شوكتها.

هذه الحركة المتتابعة أضفت على النص الحيوية والإثارة، والمتعة الفنيـــة، كما كان لها دورها البين في إيقاظ المتلقي، وإثارة شعوره وإحساسه تجاه قتـــل هذه البراعم، ومشاركته تجربة الشاعر.

وأشعر بحركة شديدة تزلزل قلب الشاعر وهو يسجل هذه الكلمات، ويعبـــر عما انتابه تجاه قتل الأطفال، وفي هذا ما يشف عن إحساس وطني متعمق فـــي قلب الرجل تجاه أمته العربية، وبغض شديد مـــتمكن منـــه للمحتـــل الغاصـــب للأرض والعرض بصفة عامة، وبني صهيون خاصة.

إن حسن فتح الباب قد أثار وطنيته وفجر شـــاعريته قتـــل البـــراءة، ووأد الزهور اليانعة من أبناء فلسطين الشقيق، فراح يفجر هذه الصـــيحات الشـــعرية النابعة من أعماق قلبه، فجرها بدافع من وطنيته وانتمائه لعروبتـــه، وإنســـانيته، وضميره الحي الذي يؤلمه قتل الأطفال، وهو بهذا يشارك فـــي النضـــال ضـــد المستعمر، ويكشف عن خبث طوية اليهود وسوء مسلكهم مع البـــراءة، ومـــدى بشاعة ما يفعله بنو صهيون الذين انطوت قلوبهم على غل وحقد دفين لكل مـــا هو عربي، فراحوا يقتلون البذرة قبل أن تنبت، ويقطعون البراعم قبل أن يشـــتد عودها، ويقطفون الزهور خشية أن تتفتح(١).

---

(١) نعى الشاعر كثيرا قتل الأطفال في كل مكان وزمان، ومن مثل هذه القصـــائد التـــي =

## ثالثا: تمجيد الشهداء ورموز المقاومة.

ومن القضايا التي شغلت بال الشاعر وجعلته يترجم عما يمور بداخله من تبرم وسخط في سطور شعرية تكشف عن فوران نفسه بقضايا أمته العربية: (قضية الفدائي: الشهيد) وهي تكشف عن أولئك الذين يتطلعون للحرية، ويبحثون عن الخلاص، ويقدمون أنفسهم فداء للوطن والحرية والأخوّة، لذا فقد رأوا الشهادة في سبيل الله هي الحياة الحقيقية، والموت في سبيل الوطن هو الحرية بعينها.

إن "أصحاب حالات الاستشهاد التي نجدها من آن لآخر تعلن عن وجود الإنسان العربي – ما زال– والإرادة العربية الحقيقية مازالت بين نفر وإن يكن قليلا فهو كثير بما يقوم به، إنها ثقافة الاستشهاد إذا شئنا، وهو تعبير جميل يحمل من الدقة أكثر منه حين نردد ثقافة المقاومة"(١).

من هذه القصائد التي تكشف عن هذه القضية قصيدة: (رؤيا وفاء)(٢)، والذي يسطر فيها الشاعر بسالة وشجاعة الفدائية الشهيدة "وفاء إدريس"، يقول:

وفـــــــــاء... وفـــــــــاء...
يـــــا أســـــطورة الفـــــداء
شـــــهيدة الشـــــقاء في الحيـــــاة
والمـــــــــوت الـــــــــرحيم

---

=تنعى قتل الأطفال قصيدة أطفال بحر البقر، انظر: الأعمال الكاملة: ٤٣٣/١، وقصيدة: ترنيمة باسم طفل الحجر، السابق: ٤٨٢/٢، وغيرها من القصائد.

(١) الغيم والمطر الرواية الفلسطينية من النكبة إلى الانتفاضة د/ مصطفى عبد الغني ص ١٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٣م.

(٢) انظر: على سلم من هشيم الرياح: ص ٧٤ – ٧٧.

أرثيـــــك أم أســـــطع بالنـــــداء ؟
للســـــاردين في كهـــوف البؤســـاء
والنـــــــــاعمين المتـــــــــرفين
لكـــي تـــرى عيـــونهم.. قلـــوبهم
وفاء كيف تصد عن حماها غولة الذئاب
وتفـــتح الطريـــق بالـــدم المـــراق
للقـــــادمين بعـــــدها ليحملـــــوا
رســـالة المصـــير: نمـــوت أو نثـــور
لكـــــــي نحـــــــرر التـــــــراب
مـــــن دنـــــس العمـــــالق الأقـــــزام
ونحمـــــــي الأهلـــــــة المحاصـــــــرة
بـــين الضـــفاف والـــروابي والمـــروج
من عضة الأفعى ومن مـــرارة الشـــتات
للـــــــوطن الوضـــــــاء في عينيـــــــك
الـــــــوطن الحلـــــــم الجميـــــــل
فداؤه اليـــوم المرجّـــى للغـــد البـــهيج
فـــــــداؤه العـــــــش الســـــــعيد

الشهيدة وفاء إدريس([1]) فتاة سوف يتذكر اسـمها جيـدا الصـهاينة قبـل الفلسطينيين، إنها تلك الشابة الجميلة التي أعدت نفسها، وكأنها عروس تتجهـز

(١) وفاء علي إدريس هو اسم الشابة الفلسطينية أول فـدائيات انتفاضـة الأقصـى عـام=

في ليلة زفافها لتحصل على الحرية راحت تنفض عن كاهلها غبار الذل والمهانة لترفع راية القدس، وتعيد إلى جبينه الوضاء نوره وضياءه، ولتشدو للجميع: الموت ثمن الحرية، والتضحية بالنفس هي بديل العزة والكرامة. "فأمام جبروت الصهاينة، وأمام عسف أمريكا والغرب كله، وأمام عربدة الصهاينة في أرضنا لا يجد الفتيات الصغيرات وهن في سن الحلم والرومانسية غير طريق واحد لضمان الحلم والسكون الأبدي المريح ونيل الشهادة التي هي أعلى الدرجات في وجه مستعمر عنصري بغيض"(١).

يسجل الشاعر كيف استعدت وفاء، وجهزت نفسها لتنتقم لكل من جمعت أشلاءهم من ضحايا الانتفاضة الفلسطينية وهي تعمل كمتطوعة في الهلال الأحمر، ولتفدي شعبها ووطنها، وتسطر اسمها في سجل الفدائيين الشهداء، راح الشاعر يرصد هذا كله في إعجاب واضح، يقول:

**صـــــــحت وفـــــــاء**

**صـــــــلت وكـــــــبرت**

**وازينـــــــت لعرســـــــها**

**إن هـــي إلا لعنـــة للظـــالمين**

**وخطوتـــــــان.. نظرتـــــــان**

---

=٢٠٠٠م، من مخيم الأمعري في رام الله، تعمل كمتطوعة في الهلال الأحمر لتقديم الإسعافات الأولية للفلسطينيين الذين يصابون في المواجهات مع جنود الاحتلال، فجَّرت نفسها في شارع يافا في القدس الغربية فقتلت إسرائيليا وجرحت عددا يقترب من المائة في يناير ٢٠٠٢م. انظر: جريدة الشرق الأوسط: العدد ٨٤٦٧، السبت ١٩ ذو القعدة ١٤٢٢هـ = ٢ فبراير ٢٠٠٢م.

(١) الغيم والمطر، الرواية الفلسطينية من النكبة إلى الانتفاضة: ص ١٤.

خفقتـــــــــان.. بســـــــــملة
علـــــى الصـــــراط المســـــتقيم
ليســـــقط البغـــــاة صـــــاغرين
ويثـــــــــأر المناضـــــــــلون
وينجـــــو الطلائـــــع الآتـــــون
لكي يذوق المجرمون بعض ما جنوْا
بشـــــرى عـــــذابٌ في الجحـــــيم.

إن وفاء إدريس الفدائية الشابة لم تفجر نفسها لأجل الانتقـــام مـــن العـــدو الصهيوني المحتل فحسب، بل كان لها أهداف أخرى نبيلة، تريد مـــن ذلـــك أن تسطر أسمى آيات الكفاح والتضحية في سبيل الوطن والحرية والـــدين، ولكـــي (يسقط البغاة صاغرين، ويثأر المناضلون، وينجو الطلائـــع الآتـــون، ويـــذوق المجرمون بعض ما جنوْا)، ولتعيد للقدس العربية بسمتها التي قتلتها يد المحتـــل الغشوم، ولترفع راية الحرية وتزينها بدمائها الزكية الطاهرة.

وفي النهاية يسجل الشاعر المشهد الأخير من قصة هذه الفدائية التي تغنـــى بها الرجال قبل النساء، وصارت تدرس في معاهد الفدائيين والوطنيين البـــاحثين عن الحرية، المفتشين عن العزة والكرامة، وباتـــت وفـــاء عـــروس الأقصـــى الشهيدة. يقول:

غفـــــــــــت وفـــــــــــاء
وبســـــــمة تضـــــيء ثغرهـــــا
ونجمـــــة غـــــراء فـــــوق الجـــــبين
وانبثقت مـــــن روحهـــــا الأمـــــين

فراشة تنشد في مدينـــة الصـــلاة
حـــــي علـــــى الكفـــــاح
لتـــــــــبرأ الجـــــــــراح
حي على الموت الذي ليس يموت
المجـــــد للمقـــــاوم العنيـــــد
والخلـــــــــد للشـــــــــهيد
ورددت ريـــــــح المســـــــاء
عـــــــرائس الســـــــماء:
وفـــــــــــــــــــــاء
وفـــــــــــــــــــــاء

لقد سطرت وفاء إدريس دروسا وطنية لمن يريد أن يكون وطنيـا بحـق، صارت دماء تلك الزهرة الجميلة أريجا يفوح في جنبات القدس، وصدى لـدماء الشهيدات اللاتي جعلن تحرير القدس من يد البغاة الظالمين اليهود إحدى عقائـد الإيمان، والحفاظ على العرض من أوليات العزة والكرامة، راحت تقدم نفسـها طواعية فداء للوطن والدين لترفع راية الإسلام، وتزيل الثرى عن جبين القدس، وأقدمت طواعية تضحي بنفسها وهي في ريعان شبابها وأوج أنوثتها لعل الموت يوقظ أمة طال سُباتها، وهان عليها تاريخها(١).

وقد أشاد الشاعر ببطولة هذه الفدائية الشابة إعجابـا ببطولتهـا النـادرة، وتمجيدا لشجاعتها المتوثبة، ورثاء لشبابها وأنوثتها، وفي هذا ما يكشـف عـن

(١) انظر قصيدة أخرى للشاعر عن وفاء إدريس عروس القدس الشهيدة بعنـوان: تميمـة، ديوان:على سلم من هشيم الرياح: ص٢٤.

عمق صدق الشاعر في تجربته، ويشف عن شعوره الوطني الصادق، ويؤكد اهتمامه لقضايا الأمة الإسلامية والعربية([1]).

إن حسن فتح الباب تفاعل مع القضية الفلسطينية([2]) بكل ما أوتي من ملكات شعرية مكنته من بث ما يثور في نفسه من مشاعر وأحاسيس تجاه الشعب الفلسطيني الشقيق في الدين والعروبة بقوة وجرأة، فكانت هذه الصرخات والأنات الشعرية التي تفضح العدو الغاصب، وتقرع القوى الصهيونية الباغية التي استأسدت على الشعب الفلسطيني، تحسبه هيّنا لينا وفي نفسه بركان يكاد أن ينفجر في وجه المعتدين متى حانت الفرصة.

(١) من القصائد التي أشاد الشاعر فيها برموز المقاومة وغناها للشهيد: انظر الأعمال الكاملة القصائد: الحب والموت إلى البطل الفدائي في الأرض المحتلة ١/٣٧٥، الجرح العاصف إلى رجال المقاومة ١/ ٣٩٧، طائران(الشهيد) ١/ ٦٨، شهيد ١/ ٤٥٠، شهيد خلف خط النار ٢/ ٤١٦، وانظر ديوان على سلم من هشيم الرياح القصائد: على ضفاف الحب والحرية ص ٢٣، حصار ص ٧٢، اللؤلؤة ص٧٨، وغيرها.

(٢) تفاعل الشاعر مع القضية الفلسطينية تفاعلا يكشف عن انتمائه لعروبته وأشقائه في الدين والعروبة فكثرت قصائده في القضية الفلسطينية التي لا تتسع هذه الدراسة للوقوف معها، انظر الأعمال الكاملة القصائد: جيفارا ١/ ٣٨٦، الجرح العاصف إلى رجال المقاومة ١/ ٣٩٧، أجنحة الزوبعة ١/ ٤٠٥، الدمى والدخان ١/ ٤١٦، رؤيا إلى غزة ١/ ٤٢٠، رسالة من الأرض المحتلة ١/ ٤٤٢، رؤيا إلى فلسطين ١/ ٥٣٨، شهيد خلف خط النار ٢/ ٤١٦، سهرة في ضوء الحجر ٢/ ٤٧٦، ترنيمة باسم طفل الحجر ٢/ ٤٨٢، مقاطع من حجر الانتفاضة ٢/ ٤٩٠، لا تسأل غزة عن طير البحر ٢/٤٩٥، وغيرها من القصائد التي تكشف عن تفاعل الشاعر مع القضية الفلسطينية تفاعلا يكشف عن وطنيته.

# الفصل الثالث
# القضايا العربية الأخرى

لم يقف حسن فتح الباب الثائر الوطني المهموم لقضايا وطنه، وأبناء أمته عند وطنه مصر فحسب، بل شملت ثورته الوطنية وسافر غناؤه للوطن إلى آفاق أوسع وأرحب لتشمل الوطن العربي بأسره، وقضايا الأمة العربية من حوله، فكما غنى لفلسطين، وعلت صيحاته وأناته الشعرية لها،عني كذلك بقضايا البلاد العربية الأخرى من حوله، ولم تنقطع صرخاته لأجلها، فندد بالغزو الأمريكي للعراق، وناضل بشعره مع لبنان، واستنهض الهمم لسوريا، كما غنى للجزائر وشعبها مؤازرا، ومنددا بالمستعمر، ومحرضا على المقاومة والثورة ضد المحتل.

## أولا: العـــراق

لم يشهد العراق منذ سقوط بغداد في يد التتار أسوأ مما لاقاه على يد الغزو الأمريكي، والذي قضت فيه القوانين الظالمة والقرارات الآثمة على حرب العراق وسرقة ثرواته، ونهب أمواله، وقتل ملايين الأبرياء من العرب والمسلمين في ظل سكوت عربي مخز، وأفواه مكممة، وأحاديث شجب فجة، لا تسمن ولا تغني من جوع.

لقد كان العراق بلدا عربيا له مكانته بين أشقائه العرب، وكان بحكم موارده وثرواته الطبيعية من بترول وماء وأرض زراعية خصبة، وتعداد سكاني مناسب، ومستوى ثقافي جيد مهيئا بأن يقوم بدور قيادي وريادي في المنطقة العربية، جاءت حرب الخليج الأولى مع إيران والتي استمرت ثماني سنوات لتستنزف ثرواته، وأكملت مهزلة غزو الكويت الباقي حتى وقعت المأساة

الكبرى التي يندى لها الجبين بالاحتلال الأنجلو أمريكي(١). الذي قتّل في العباد الأبرياء، وطغى في البلاد، وأكثر فيها الفساد، فلم يبق على شيء من خيراته وثرواته ولم يذر.

وحسن فتح الباب الشاعر الوطني الذي طفح شعره بالانتماء للعروبة، وغنى كثيرا للأمة العربية، لم يكن ليبق صامتا أمام هذه الأحداث الدامية، وإنما كان شعره كصيب من السماء يقرع مسامع الأعداء، ثم يعود فيهدأ ليكون كالطل راثيا حال العراق وما أصابه من ويلات الاستعمار الغاشم.

أرسل الشاعر الأنات الشعرية التي تكشف عن هم وغم طفح بهما قلبه حزنا وألما على هذا البلد العربي الشقيق، وما ناله من بركان الغزو الأجنبي الغاشم، يقول من قصيدة (وحدك يا عراق)(٢).

أصابع الشيطان
بداية لما سيكشف الستار
من وجهه الرجيم
ومشهد الجحيم
في مسرحية المبارزة
ما بين تجار الحروب
وقيصر الظلام.
وانتصب الشهود صفا وراء صف

(١) انظر: الهوية القومية في الشعر العراقي: أسامة الألفي، ص٥٢، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥م.

(٢) على سلم من هشيم الرياح ص ١٤١-١٤٦.

شـــــــعبا حطـــــــام شـــــــعب
وجوقـــــــة مـــــــن المهـــــــرجين
يرثـــــــون صـــــــرعى المذبحـــــــة
يبكون أو يضّاحكون على الضحايا الأبرياء
علـــــــى اقتتـــــــال الغرمـــــــاء
علـــى مصـــائر الشـــياة والـــذئاب
مـــــا بـــــين أيـــــدي المجـــــرمين
والســـــــــــاردين التعســـــــــــاء
والغـــــــــــانمين الأشـــــــــــقياء

لقد تكاتفت القوى الاستعمارية وتجار الحروب للنيل من العـراق، ونهـب ثرواته، ولم تستطع النظم الأجنبية والعربية وقف هذا الزلزال المـدمر، وحقـن دماء الأبرياء، فهم لا يملكون إلا رثاء الضحايا وبكاء القتلـى بالشـجب تـارة، وبالنحيب أخرى، إذ يقف الرأي العالمي صامتا أمام جبروت المستعمر المحتـل الغاصب للخيرات والثروات.

والشاعر المهموم لما أصاب الأبرياء في العراق يكشف عن الواقع الأليـم الذي يحياه الشعب العراقي في ظل مسلسل هذا الزحـف العـدواني الغاصـب، يقول:

الأمهـــات قـــد حـــرمن مـــن دمـــوع
والطفـــــــــــل لا حليـــــــــــب
والشـــــــــــيخ لا دثـــــــــــار
اليوم صـارت الـدموع بحـرا مـن الـدماء

وأصبح الحليب سيلا من الدخان والدثار
قنابلا تفجر الديار
اليوم لا همس ولا صراخ
عمّ سلام المقبرة للشاربين من دمائنا
المرجفين الفجرة
اليوم لا جن ولا ملائكة
على ربوع الرافدين تناسخ البشر
في عمد ممددة من الحجار والغبار والملح والنجيع
حتى قبور الشهداء تناثرت هباء
وفُجرت بحار لا لؤلؤا ولا محار

لقد صبغت القوى الاستعمارية الغادرة شوارع العراق باللون الأحمر القاتم، واتشحت ثياب القوم وجلودهم بلون الدم، وحولت أراضيها إلى قبور لا تسمع فيها همسا، فجفت دموع الثكالى من كثرة البكاء، والتحف الأطفال بالجوع، إذ لا حليب ولا طعام، والشيخ الهرم بات ملفوفا بالعراء لا مأوى ولا لباس، ولعل الشاعر هنا يذكر الأمهات، والأطفال والشيوخ في إشارة إلى فضح سياسة دولة زعمت أنها راعية السلام وراعية حقوق الإنسان، وهي اليوم تقتل الإنسانية، وتئد الحرية، ولا تعرف من السلام إلا اسمه، وفجرت قبور الشهداء حتى صارت ترابا تذروه الرياح.

والشاعر الثائر المتألم لما يجري في العراق يطلق صرخاته في العرب، وتشتعل نفثاته الشعرية بالتقريع والتأنيب، ينعى تخاذلهم وتثاقلهم عن نصرة العراق ووقوفهم في وجه قوى الاستعمار الباغية، يقول:

اليـــــــوم لا خفـــــــاء لا غطـــــــاء

ارتفـــع الســـتار عـــن عـــورة العربـــان

تمخضـــــوا عـــــن جبـــــل منـــــهار

وانطلـــــــق الحـــــادي القـــــديم

يهـــــــــيم في البيـــــــــداء

يصـــــــــرخ في الوديـــــــــان

ويـــــــلاه يـــــــا عـــــــراق

واختـــرق الفضـــاء صـــوت مـــن الغيـــوب

للمتـــــــنبي الفـــــــارس الحـــــــزين:

العُـــرب لا تصـــلح إن تَسُـــس أمورهـــا

قيـــــــادة مـــــــن البقـــــــر

رُبّاهـــــــــا القرصـــــــــان

حليفهـــــــــا الشـــــــــيطان

ولا قيامة لمن قد أسلموا زمامهم لشر من حكموا النار

والحديـــــــــد شـــــــــرعتهم

والظلـــــــم والظـــــــلام والـــــــنقم

لا ســـــيف يشـــــهرونه ولا قلـــــم

إلا علـــــــــى مستضـــــــــعفين

يرعـــــــــاهم الســـــــــقم

تنعـــــــــاهم الأمـــــــــم

ويـــــــــــلاه يـــــــــــا عـــــــــــراق

وحـــــــــــدك يـــــــــــا عـــــــــــراق

لقد تخاذل العرب في نصرة أشقائهم في العراق، وتثاقلوا عن الجهر بالحق والصدع به، إذ تبلدت سيوفهم، وكَبَتْ جيادهم عن مؤازرة إخوانهم في الأرض والعروبة والدين، والشد من أزرهم، وتغافلوا عن صلات النسب، ونسوا أو تناسوا بلد الحضارات بغداد، ولم يكن منهم إلا الشجب والخطب المملة المميتة، وجعجعة المتخاذلين المزعجة، والثرثرة في المؤتمرات الصحفية التي تشبه عرض الأزياء.

إن قلب الشاعر يكاد يغلي ولا يستطيع إلا أن يكشف هذا العوار في شعره ليكون شاهدا على تخاذل العرب وتثاقلهم عن الوقوف في جانب الحق والصدع به في وجه المعتدين، فقد أسلموا زمامهم وفتحوا بلادهم لشرذمة من البغاة لا همّ لهم إلا القتل والنهب، وبث بذور الحرب الأهلية في المنطقة العربية، وتعرية الأمة من هويتها، وتوسعة الثغرة بينها وبين دينها، وفتح هوة الفساد على مصراعيها.

وقد استطاع الشاعر أن يعبر عن تجربته في لغة شعرية مؤثرة، وعاطفة صادقة مشحونة بالأنين والألم، وأسلوب قوي يتناسب مع هذا الحدث المؤلم الذي يحزن كل وطني غيور على إخوانه في الأرض والدين والعروبة.

وفي قصيدة (استطرادات في ليل العراق)([1]) لا يملك الشاعر نفسه وهو يرى العراق وقد نهبت قوى الاستعمار خيراته وثرواته، ويتململ حزنا وألما لتحول عروس النهرين إلى بركة من السواد والخراب والقتلى، فيرسل هذه الأنة الشعرية التي يقول منها:

---

(١) على سلم من هشيم الرياح ص ١٥٧.

بغـــــداد عـــــروس النـــــهرين
تحتـــــرق بنـــــار القرصـــــان
تختنـــــــــــق الشـــــــــطآن
تحـــــت الأمطـــــار الســـــوداء
حـــــــتى أراني في الطوفـــــــان
وجهي نصفان ما بين (البصرة ) (والموصل )
والقلـــــب الناضـــــج بالأشـــــعار
الســـــــــابح بالأطيـــــــــار
أمســـى مقـــبرة لمســـرات القلـــب
ومـــــــــــزارا للثـــــــــوار
قلـــــبي شـــــلو شـــــهيد(١).
مضـــــــغة صـــــدر عـــــار
ثـــــار علـــــى الإعصـــــار (٢).

المتأمل الكلمات (أراني، وجهي، القلب، قلبي) يشعر بالألم الـذي أصـاب الشاعر، والهم الذي يحمله بين جنبيه لما حل بدجلة والفـرات، ومـا أصـاب البصرة والموصل، وما أصبح فيه العراق من خراب ودمار، وجحيم ونار، فهي

(١) شلو: (بكسر الشين) مفرد أشلاء.

(٢) من القصائد التي سطرها الشاعر للعراق أيضا قصيدة: أغنية انتصـار إلـى العـراق، انظر: الأعمال الكاملة ١٨٧/١، وقصيدة، السياب يعود إلى بغداد، انظر ديوان: على سـلم من هشيم الرياح ص ١٤٧.

نفثة مصدور صدع بها الشاعر، وهي تؤكد تفانيه في الوطنية وقوة انتمائه لعروبته وأبناء أمته وإخوانه في الأرض والدين.

لقد أصابه الحزن الشديد وتألم كثيرا لما يحدث في العراق، فكانت هذه الفورة الشعرية التي يتألم فيها للعراق، ويبكي بغداد بلد الحضارة، إذ اجتاحها وحش الدولار، واستولى على خيراتها، فأحرق آبار البترول، وأشاع البطش، والقتل، والتشريد، والهدم، والتخريب، وقضى على الطارف والتليد.

## ثانيا: سوريا ولبنان

لم تكن سوريا ولبنان من البلاد العربية الشقيقة فحسب، بل تربطهما بمصر صلات وثيقة، وعلاقات قوية، وعلى حين غفلة من أهل لبنان وسوريا احتلت إسرائيل الجنوب اللبناني واستولت على هضبة الجولان السورية، فاتسع الخرق وامتدت يد بني صهيون الآثمة إلى هذين البلدين الشقيقين لتزيد من استعمارها وتوسع من سيطرتها ونفوذها في قلب المنطقة العربية.

ولم ينس شاعرنا هذا الاستعمار الغاشم الذي أتي على سوريا والجنوب اللبناني، وما يعانيه أهل هذا الوطن من حزن وألم، وأنين وانكسار، وخراب ودمار، فترجم عن انفعاله بما يشاهده وما يسمعه من جرائم المستعمر، فكان له جهده المشكور نحو هذه القضية العربية التي تكشف عن وطنيته المتمكنة منه، وتشف عن قوة انتمائه لأبناء عروبته.

راح الشاعر في نداء شعري مغلف بالحزن، ووطنية تؤكد على قوة انتماء الشاعر لإخوانه في العروبة، – راح يشارك إخوانه في آلامهم، ويناضل من أجل نيل الاستقلال والحرية. يقول من قصيدة (فوق العاصفة)(١):

(١) على سلم من هشيم الرياح ص ٨٩-٩٤.

يـــــــــــا رفيقـــــــــــي

هذه العاصفة السوداء مـــرت هاهنـــا

تصـــفق الأبـــواب مـــن دار لـــدار

وتهـــــــــز الشـــــــــرفات

تســـرق الأحـــلام مـــن أطفالنـــا

تئـــــد الأقمـــــار في أعينـــــهم

وتواريهـــــا بأحشـــــاء الظـــــلام

وتغـــــــــني للخـــــــــراب

إنهـــــــــا الآن تُـــــــــدوِّي

تتلـــــــــوى بـــــــــالفحيح

ترتدي أجنحة الشيطان رقطاء الخريف

بـــــين قصـــــف وعزيـــــف

خلفها يختال كي يغتال أزهار الربيـــع

أفعـــوان يتخفـــى في رداء للمســـيح

يتغـــــــــذى بـــــــــالنجيع

بـــين أشـــلاء طـــريح وجـــريح

وهمـــا صـــنوان: قرصـــان وذئـــب

جعل الشاعر من نفسه رفيقا يناجيه يبثه شكواه ويكشف عما تعانيـــه نفســـه من أحزان وآلام، فقد دخل العدو الصهيوني الآثم لبنان بخيله ورجله، وسعى في أرضها فسادا، يقتل ويدمر، ويحرق، ويشرد حتى صارت بركانا من دم.

**والمتأمل الأفعال:** (مرت، تصفق، تهز، تسرق، تئد، تغني للخراب، تدوي، تتلوي، ترتدي) وهي أفعال مضارعة تدل على الحدوث والاستمرار، يجد أنها تؤكد على تمكن العدو الغاصب من لبنان، وتوحي بولوغه في الفساد والقتل والسرقة والخراب، حتى صار لبنان مجروحا يقطر دما، بل غرق في شلالات الدم والنار من جراء الاستعمار الصهيوني الغاشم.

وفي وطنية واضحة يحرض الشاعر العرب للوقوف بجانب هذا البلد العربي الشقيق، والصمود في مواجهة المستعمر، ورد كيده بكل ما نملكه من عتاد، لنثأر لقتل الأطفال، واستغاثات الثكالى، والشهداء الذين رووْا بدمائهم أرض لبنان والعروبة:

**يا رفيقي لا مفر**
**لا ينل روحك آفاق مغامر**
**ولنقاتل**
**هذه الأرض لنا**
**هذه الأرض علينا**
**إن تخاذلنا ونمنا**
**عن أنين لورود قطفت**
**واحتضار لهلال**
**واستغاثات لأم**
**هذه الأرض علينا**
**إن تخاذلنا ونمنا**
**عن نداء لشهيد**

ثم يؤكد الشاعر على ضعف المحتل وجبنه أمام قوة العربي وشجاعته، وصموده في وجه الباطل، فيدعو إلى الشجاعة والقوة والوقوف في صلابة لمواجهته، فلتكن جنود لبنان والعرب جميعا جنودا يقاتلون البغي الإسرائيلي، أسودا يتدافعون إلى أرض المعركة، تزمجر أصواتهم شوقا إلى القتال، وحبا في الشهادة، يقول:

**يا رفيقي لا تخف: لا ترتجف**
**إن أتت أشباح أنصاف الرجال**
**والبغايا والثعالب**
**تركب الريح وتقفو أثرك**
**كل ما تقوى عليه أن تحدق**
**بالعيون الجوف والقلب الخواء**
**علها أن تصدع الروح الأمين**
**وهو يعلو سامقا فوق الجبل**
**فلتكن أنت شهابا صاعقا**
**يزرع الموت لأعداء الحياة**

لقد كشف شاعرنا عن وطنيته الواضحة، وانتمائه لعروبته، واهتمامه لقضايا أمته في هذه الأنات الشعرية التي تدعو إلى النضال، ومقاومة المعتدين حتى آخر قطرة دم لانتشال هذا القطر العربي من براثن الاستعمار الغشوم.

ويتدفق المعين الشعري لدى حسن فتح الباب في قصيدته (عروس الجنوب)([1]) التي يسجلها ويشيد فيها ببطولة وبسالة (سناء محيدلي) عروس

(١) الأعمال الكاملة: ٢/٩٥-١٠٧.

الجنوب اللبناني التي قدمت نفسها وشبابها فداء للوطن، وقربانا لنيل الحرية والاستقلال. يستهل الشاعر قصيدته بهذه الاستفهام الذي يقرع الأسماع، ويوقظ المتلقي، ويشد انتباهه:

**من ذا الذي يشق لحده المخضب الشهيد**

**بين صدور القتلة**

**من ذا الذي يبدلنا**

**بالجِيَف المهترِئة؟!**

**طلعتك المغيرة المستبشرة**

**بالموت للحياة**

**أكفانك المضمخة**

**بالدم والطيوب**

**وحنطة الجنوب؟!**

استفهام أحاط به الشاعر دفقته الشعورية والشعرية، وهو يشف عن قيمة هذا العمل الاستشهادي التي قامت به عروس الجنوب، حين راحت تقدم نفسها فداء للحرية، وتضحي بشبابها وأنوثتها لتعلم بني صهيون أن النفس رخيصة أمام نيل الحرية، ودحر تلك الجيف المهترئة الرخيصة النتنة.

لقد رأت عروس الجنوب أن الموت هو عين الحياة، فراحت تحمل أكفانها على يديها وقدمتها قربانا لقومها، راحت تلك الشابة تحفر قبرها لتهدم كل ما قد شيد من خواء، راحت تهدم الصروح الشاهقة المبنية على الخزي والعار، وتكمم الأشداق الممتلئة بالشعارات البراقة، والأحاديث الجوفاء:

**من ذا الذي يحفر فينا قبره**

يبدلنا بكل ما شدناه مـــن خـــواء؟!
أســـــيافنا.. ســـــجوننا العـــــراء
رعاتنـــــــــــا الشـــــــــــياه
أشـــــــــــداقنا الممتلئـــــــــــة
جلودنـــــا الموشـــــومة المحنطـــــة
بســـــاطنا الأحمـــــر في المطـــــار
والطـــــــــائرات الصـــــــــدئة
يبـــــدلنا بـــــالجيف المهترئـــــة
جناحك المسكون بالفردوس والجحيم
جناحـــــــــــك الـــــــــــرحيم
جناحـــــــــــك الـــــــــــرجيم

ثم يرى الشاعر أن سناء باستشهادها قد وهبـت الحيـاة لأهـل الجنـوب اللبناني، وهي في الوقت نفسه قد أشعلت نار النضال والقتـال والمقاومـة فـي النفوس:

من ذا الذي ســوّاك يــا ســناء
حوريـــــــــة الجنـــــــــوب
حرية الدم المراق في حدائق الحياة
يُجمّـــــــــع الأشـــــــــلاء
لتســـــــــتحيل عربـــــــــا؟
يفرق الأشـــلاء لتســـتطير لهبـــا

**مـــــــن علـــــــم الأسمـــــــاء**

**غـــــــيرك يـــــــا سمـــــــاء**

إن سناء التي تحمل بين جنبيها حبا مغروسا فيها لوطنها وعروبتها راحـت غير مبالية بالموت تقدم نفسها كي يستفيق العرب من غفلـتهم، ويقومـوا مـن رقدتهم، ويستيقظوا من سباتهم العميق في زمن ضاع فيه المجد العربي.

وشاعرنا يستخف بالهوية العربية وينعى على العـرب صـمتهم المميـت، وسكوتهم المخزي عن هذا الدم الذي يراق يوما بعد يوم، وساعة بعـد سـاعة، ينعى صمتهم عن قتل الأطفال ووأد الحرية.

ثم يؤكد الشاعر أن سناء هي التي قالت كلمتها في وقت سكت الجميع، فـي ظل صمت عربي ودولي رهيب، قالت سناء كلمتها، وهي الموت هـو الحيـاة، والذل والعار في التخاذل أمام هذا العدو المستبد، يؤكد الشاعر هذا متسائلا:

**من يا ترى غيرك يا سناء**

**يعرفنـــــــــــــــا**

**بطهـــــــره وعارنـــــا**

**يحبنـــــــــــــــا**

**بفرحـــــــه وحزننـــــا**

**يقهرنـــــــــــــــا**

**بجهـــــــره وصـــــــمتنا**

**من ذا يقول الكلمة؟!.**

إن هذه الضدية التي لجأ إليها الشاعر: (بطهره/عارنـا)، (بفرحـه/حزننا)، (بجهره/ صمتنا) تؤكد على شجاعة هذه الشابة التي بدلت باستشـهادها العـار

بالطهر، والحزن بالفرح، والصمت بالجهر، إنها عروس الجنوب التي بدلت هذا كله وغيرت معالمه، لقد جهرت بالحق وعلا صوتها وقالت كلمتها، رأت سناء أن الموت في سبيل إيقاظ الأمة من سباتها هو الحياة، وأن السكوت على الاحتلال هو الذل، فراحت تفجر هذا الصمت، وتقتل ذلك السكوت.

بهذه المعاني تتآلف الصورة التي يود الشاعر التعبير عنها مستوحية أبعادها التصويرية من البعد الشعوري الذي يربط بين معتقدات المناضلات اللائي يرون الموت هو الحياة، ومعتقدات العرب الذين رأوا الصمت بطولة، والشجب والخطب الرنانة هو طريق النصر. "إن الزمن الذي نحتاج فيه أن نشتري الوطن بالعرض والتراب والمرأة، ونحرق من أجله زهرات الحياة، وننتظر تضحية النساء لهو زمن تعيس نكد"(١).

ومن القصائد التي غناها الشاعر لسوريا خاصة قصيدة راعيان من حلب(٢)، فقد بارك مقاومة أبناء سوريا البواسل الحشود الاستعمارية حولها سنة ١٩٥٧م، وراح يشيد ببطولاتهم، ويشد من أزرهم ويناضل معهم بكلماته، ويندد بالاستعمار، يقول:

**بالأمس مر من هنا إعصار**
**وخر في الظلام راعيان من حلب**
**سماء سوريا ارتوت من الغضب**
**ولم يعد يطل من غصونها قمر**

---

(١) المرأة الفلسطينية في الشعر السعودي: د/ محمود حسن عمار ص ١٧٠، طبع الأهرام التجاري، القاهرة ٢٠٠٦م.

(٢) الأعمال الكاملة: ١/١٩٢-١٩٤، حشدت تركيا قواتها على الحدود السورية الشمالية سنة ١٩٥٧م بغية الضغط عليها واستعمارها إن استطاعت.

**وانفض سامر المســـاء والطــرب**
**وكل زهرة تفتحت على دخـــان**
**وكل طفـــل قلبـــه علـــى يـــده**
**ورنت الأصداء كالهدير: معركـــة**
**وجاوبت نداءها الجموع: معركة**
**قد خر في الظلام راعيان من حلب**

إن تكرار لفظة (معركة) يكشف عن الحماس المسيطر على أهل ســـوريا، وروح النضال التي تملأ قلوبهم، حتى رنت الأصداء كالهدير لمقاومة المستعمر – كل مستعمر– حتى جعلتهم يقفون له هذه الوقفة التي ردت كيده وجعلته يفكر في أمر سوريا مرة أخرى.

لقد استعد أبناء سوريا البواسل لخوض المعركة مهما كلفهم ذلـــك، وخـــيم على سماء سوريا جو الحرب والنضال، وقاوم أبناء سوريا الاســـتعمار الغاشـــم الذي أتي عليهم وطوق بلادهم، وتنادوا حي على الجهاد في هذا الجـــو الـــزاخم بالسواد وسط قعقعة البنادق والرشاشات يقفون وقفة صلبة يقـــاومون، ويتلقـــون ضربة المحتل الباغي وهم يشتمون رائحة الموت، وقد هب الجميع ووقفوا فـــي وجه هذا الجيش التتاري الباغي حتى وضـــعت الحـــرب أوزارهـــا، وعـــرف المستعمر قوة المارد السوري.

إن شاعرنا غنى لسوريا ولبنان، وناضل من أجلهما فـــي شـــعره، ومجـــد الكفاح المستمر ضد المستعمر، وحض على الجهاد والدفاع المستميت من أجـــل الحرية والاستقلال ورفع راية العروبة، وراح يؤكد على وطنيته وتألمه لمصاب أمته في غير قصيدة من شعره(١).

(١) من هذه القصائد: عيون منار تأملات من لبنان، الأعمال الكاملة ٤٠٨/١.

## ثالثا: الجزائـــر

غنى الشاعر للجزائر، وأخذ يحيي جهادها، ويبارك ثورتها، ويمجد رمـــوز الوطنية الذين دافعوا عن استقلالها، وأرسل شعره معبرا عما تكنه نفســـه، ومـــا يحتويه وجدانه تجاه هذه البلد العربي الشقيق.

وقصة الجزائر واستقلالها قصة طويلة الفصول، حزينة الأحـــداث، تجمـــع بين البطولة والمأساة، بين الظلم والمقاومة، بين القهر والاستعمار، بين الحريـــة وطلب الاستقلال. أبطال هذه القصة الفريدة مليون شـــهيد، وملايـــين اليتـــامى والثكالى والأرامل، كتبت أحداثها بدماء قانية غزيـــرة أهرقـــت فـــي ميـــادين المقاومة، وفي المساجد، وفي الجبال الـــوعرة، حيـــث كـــان الأحـــرار هنـــاك يقاومون([1]).

لقد اشتعلت الثورات المتتالية في الجزائر لمقاومة العدو الفرنســـي المحتـــل طيلة ثماني سنوات متتالية (من نوفمبر ١٩٥٤م إلى أن استقلت في ٢٣ يونيـــو ١٩٦٢م). لم تتخللها هدنة، ولم يتسرب إلى قلـــوب مجاهـــديها الـــوهن، حتـــى استطاعت أن تلفت أنظار العالم إلى ثورتها التي تحالف فيها الجـــد والمـــروءة، والبطولة والجهاد، ومضاء العزيمة، وأن تبهره ببســـالة بنيهـــا شـــبابا وشـــيبة، وفتيات وأطفالا، تحدوهم جميعا الأحلام والأمنيات في خلاص بلادهم وتحريرها من نيران المستعمر الأجنبي([2]).

وقد لفتت هذه الثورات المشتعلة وتلك النماذج البطوليـــة المكافحـــة لأجـــل استقلال الوطن ونيل حريته- لفت هذا كله الشعراء، الأمر الذي جعل صيحاتهم

---

(١) انظر: الشهيد محمد العربي بن مهيدي، رسالة خالدة للأجيال: لجنة الثقافة بعين مليلـــة ص ٣٠، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية ٢٠٠٤م.

(٢) انظر: وطنيات هاشم الرفاعي ص ١٥٩.

تتعالى مدوية في سائر أقطار العروبة، وكان صوت حسن فتح الباب من الأصوات المدوية التي صاحت في وجه المستعمر منددا بالاستعمار، ومباركا للثورات المتتابعة، ومحييا لأبطال المقاومة في العروبة.

من هذه القصائد التي أشاد فيها الشاعر بأبطال المقاومة ورموز النضال في الجزائر قصيدة (أمسية في وهران)([1])، وقد عاش شاعرنا في مدينة وهران الجزائرية ردحا من الزمن، فقويت عرى الصلة بينه وبينها، أحبها وأحب طبيعتها، وغنى لها كثيرا في شعره، يقول يعدد محاسن وهران ويتغنى بطبيعتها:

**أغنية الفرسان والعشاق يا وهران**
**يا سيدة الغمائم البيضاء**
**والخمائل الحمراء**
**وهران يا أنشودة الأمواج والنخيل**
**يا كرمة رقراقة في عصرنا العقيم**
**في عالمنا البخيل**
**يا أسطورة التلال**
**ويا عبير الياسمين... بُرْءَ في قلبي العليل**

(١) الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب ٦٢٩/١، وهران: تلقب بالباهية، وهي ثاني أكبر مدن الجزائر بعد العاصمة، وإحدى أهم مدن المغرب العربي، تقع في شمال غرب الجزائر على بعد ٤٣٢ كيلومترا عن الجزائر العاصمة. تطل على خليج وهران في غرب البحر المتوسط، ظلت المدينة منذ عقود عديدة – ولا تزال– مركزا اقتصاديا وميناءً بحريًا مهما.

فمدينة وهران كما يراها الشاعر أغنية العشاق، والفرسان، وهي أرض الطبيعة الخلابة، وأنشودتها الجذابة، بحر وأمواج، ونخيل وكرْم، وأنفاس عذاب، هي برء قلبه العليل.

على هذا المنوال راح الشاعر ينسج شعره في وهران يتغنى بطبيعتها، ويحلم بالعودة إليها، ويسجل أيامه التي لا تنسى، فيذكر شوارعها، وأسواقها، ومساجدها.

ثم يأخذ الشاعر في الإشادة بأبطالها ورموز المقاومة الذين ضحوا من أجل حريتها، فيذكر قائد الثورة الجزائرية ورمزها الأول: العربي بن مهيدى(١) ذلك البطل الذي قاوم المستعمر الفرنسي حتى آخر قطرة من دمه، يقول:

**هناك عند المنحنى**
**مفتتح الطريق**
**تأتلق الحروف والورود باسمِه**
**على الجدار**
**تغدو إشارة المرور ألف نبع**
**أخضرِ القرار:**
**العربي بن مهيدي**

ثم راح الشاعر يقص علينا قصة إعدام هذا البطل الزعيم، ويحكي ما فعله به الجلادون الاستعماريون:

---

(١) محمد العربي بن مهيدي أحد رموز المقاومة ومفجري الثورة الجزائرية، ولد ١٩٢٣م في مدينة مليلة، سخّر حياته وعاش يناضل من أجل وطنه وخدمة القضية الجزائرية حتى مات من أثر التعذيب سنة١٩٥٧م.

يقول لي الدليل: لم يضره أن يُسلخ
قبل صلبه
تساقط الوجه النبيل
أُطفِئت عيونه
توهج الأوراس(١).. لم يفه بكلمة لقاتله
وانتصبت جمجمة سيفا وصخرة ومطرقة
قال الفرنسي الذي أرهقه التعذيب:
لو أنني امتلكت حزمة من الرجال
من معين ذلك القتيل
لسقت العالم الشقي
في ركاب جيشنا المحاصر الكليل

لقد أذاق الجلادون العربي بن المهيدي أنواع التنكيل والتعذيب حتى كسروا أسنانه، وسلخوا جلدة رأسه، والتهموا لحمه كالحيوانات المفترسة، وراحوا يضعون في فمه الحديد الذي بلغ الغاية في الاحمرار من أثر النار، لكنه تغلب على هذا كله بالصبر، قاذفا في وجوههم قولته المشهورة: (لكم الماضي ولنا المستقبل)(٢).

وقد بلغت شجاعته ودفاعه المستميت عن وطنه وبلده، ونضاله من أجل استقلال بلاده أن أحد الجنرالات الفرنسيين لما قبض عليه ورأى شجاعته

(١) الأوراس: جبال عالية القمم تقع شمال شرق الجزائر، وقد اعتصم بها المجاهدون الجزائريون وسيطروا عليها.

(٢) انظر: الشهيد محمد العربي بن مهيدي، رسالة خالدة للأجيال: ص٢٧.

وإصراره على الدفاع عن بلاده، تمنى لو له جيش في مثل عزيمته وقوة بأسه وبسالته لغزا به العالم([1]). وفي هذا ما يكشف عن نضاله المستميت في الدفاع عن حرية وطنه واستقلال بلاده.

في هذا الأسلوب الحواري راح شاعرنا يعرفنا برمز من رموز المقاومة الجزائرية، وبطل من الأبطال الذين وقفوا في وجه الاستعمار، وهو العربي بن مهيدي ذلك الرجل الذي أقض مضجع المستعمر الفرنسي، ووقف في صف شعبه، وناضل من أجل بلده، ولم يضِره سلخ جلده، فحق أن يكتب اسمه في سجل المجاهدين، وقاموس المناضلين لأجل الاستقلال والحرية.

ومن القصائد التي غنى فيها الشاعر لرموز النضال الجزائري أيضا، قصيدة (شهيد من الجزائر)([2]) في مصرع البطل الجزائري (عبد الحميد بوصوف)، الذي أحرقه المستعمرون حيا حين انضم إلى صفوف الشعب الجزائري، ورفض ما يمليه عليه الاستعمار.

يستهل الشاعر هذا المشهد المؤثر برسم الأحداث التي شهدت حرق (بوصوف)، فالجميع ينتظرون، يحدقون عيونهم في هذا البطل الثائر في وجه الاستعمار، والذي تمتلئ عيونه بالشرار نقمة على المحتل الغاصب، الكل ينتظر على وجل وقلق ليرى ما يحدث لهذا البطل الذي تفانى في الدفاع عن وطنه وأهله وبلده حتى أحرقه البغاة ظلما وعدوانا، فزفته الرياح عريسا في موكب شهداء الوطنية والعروبة، يقول الشاعر:

**ألقت رداءها على الأفق**

---

(١) نص كلامه مترجما: (لو كانت لي ثلة من أمثال محمد العربي بن مهيدي لفتحت العالم) انظر: السابق ص٢٧.

(٢) الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب ١/٢٠٥-٢٠٨

فالطير والأمواج والسحاب تنطلــق
للشرق عن دوامة اللهيب في الشفق
وانشق بــاب المغــرب الخضــيب
عــن أعــين ســوداء لا تجيــب
جوفاء، كانــت أعــين الأطفــال
لمــا هــوى بوصــوف يحتــرق
كانــت بيــادر الحصــاد تشــتعل
وأذرع الثــــوار في الجبــــل
تســد عــين الشــمس بالشــرر
وأدمــــع النســــاء لم تفــــض
علــى ثــرى مناضــل ســقط
فــالموت كــان يجــرف الجليــد
يقــتحم الأســلاك والســدود
ويطعــم الوليــد نــار الثــأر
لمــا هــوى بوصــوف يحتــرق

اجتمعت حشود الثوار ينتظرون موت البطل، ذلك المناضل الــذي يعــرف اسمه أهل الجزائر رجالها ونساؤها وحتى الأطفال، يعرفه القاصــي والــداني، يعرفون نضاله المستميت من أجلهم ومن أجل استقلال وطنهم، يعرفون وقفتــه القوية في وجه المستعمر، وشجاعته التي صارت نموذجا يحتذي يدرس لأبنــاء الوطن، ولما حانت ساعة انتقام العدو فاضت عيونهم تجهش بالبكاء حزنا وألمــا على نهاية البطل المناضل.

يـــا ولـــه مـــن لم يقـــف
والأرض من دم الرفاق لا تجف
والشـــعب مـــاض لا يضـــل
ليُشهد الحياة مصـــرع البطـــل
من أجل أن تضيء جبهة العناه
ويسلم الطغـــاة رايـــة الحيـــاة
بوصوف يرتضي قرارة العـــدم
يضرم في جبينه النبيل نار قاتله
وليس غير كلمتين قبلما يغيب
يـــا شـــعب ضـــمني إليـــك
المـــوت في محـــارق الرمـــاد
ولا يُغشّـــى العـــار جبـــهتك
يا شعب إن الملك والحياة لـــك
لـــن تســـتطيع أن تمـــوت

لقد اختار بوصوف أن ينضم إلى صفوف الشعب، وأن ينافح عـــن وطنـــه ضد قوى الاستعمار الباغية، وأن يصدع بكلمة الحـــق ويقـــول: لا للبغـــاة، لا للطغاة، لا لقتلة الحرية، لا للاستبداد والبغي والعدوان، فكـــان جـــزاؤه الحـــرق بالنار حيا أمام أهله، وأمام أبناء بلده وبني جلدته.

كانت كلمات بوصوف سيفا مستلا في وجوه المعتدين، ورمحا مسنونا فـــي قلوبهم، وكان إحراقه بمثابة شرارة الثورة التي تشعل الجهاد، وتوقد نار النضال في قلوب أبناء الجزائر:

وفي ذرى وهـــران كـــل أم
تسقي صـــغارها الظّمـــاء
دمـــاء زوجهـــا الشـــهيد
والشمس في صباحها تعود
لتُنضج الثمـــار في الوهـــاد
والطفـــل يهجـــر المهـــاد
وحفنة من الرماد المحتـــرق
في كفه يرمي بهـــا الجنـــاة
وكلمـــا تخضـــب الأفـــق
عادت إلى رفاتـــك الحيـــاة
بوصوف يا مخلدا إلى الأبـــد

مات "بوصوف" اللحم والدم لكن بوصوف النموذج والمثل لا يـــزال حيـــا يقتفي أثره المناضلون، ينهجون نهجه، ويغرفون من بحر وطنيته، لقد كان قتلـــه بهذه الطريقة المروعة بمثابة كوب الثأر الذي شربه أبناء هـــذا الـــوطن لتشـــتد شوكتهم، وتنمو في قلوبهم بذرة الثـــأر والكفـــاح والنضـــال لنيـــل الاســـتقلال والحصول على الحرية.

كان موته بمثابة الشرارة التي انطلقت منها النار الشديدة فتحرق كل ما يقع في طريقها، والبركان الذي انفجر فكان وبالا على المستعمرين البـــاغين، كـــان زلزالا مدمرا لهم سيعرفون أثره ويشعرون بوطأته مع مرور الأيام، أحرقت يد المستعمر الباغية "بوصوف" لكن نار الثأر لم تمت ولم تنطفئ أبدا.

لقد استطاع حسن فتح الباب أن يصور لنا هذا المشهد المؤثر في بنية شعرية ترسم هذا الموقف الدامي وتصور هذه الفجيعة الكبرى كأنها أمامنا، وتكشف عن أثره الواضح في قلوب الشعب الجزائري، وتشف عن تأثر الشاعر بهذا الموقف الفاجع، وتشي بوطنيته التي أثبتت انتماءه لعروبته واهتمامه لقضايا أمته.

إن شاعرنا حينما تغنى بشجاعة "العربي بن المهيدي" ومجد بطولاته، ورثى "بوصوف" لم يمجد ولم يرث ذلك الجسم المكون من لحم ودم، وإنما رثى الرمز، رمز الوطنية والنضال المستميت في مواجهة المستعمر، رثى العروبة المغتصبة، "فالمهدي وبوصوف" رمزان لأولئك الأبطال الذين جاهدوا في معاناة جسيمة لتغيير مجريات الأمور، وتغيير الواقع المظلم، وزرع بذور المقاومة في النفوس، ورفع راية الجهاد في وجه المستعمر، وفي هذا ما يكشف عن انشغال الشاعر بقضايا الأمة العربية، ونضاله المستميت في سبيل إعلاء راية العروبة، وبث روح المقاومة في هذه المطارحات الشعرية.

لقد كانت جرائم الاستعمار، وحوادث القتل، والذبح، والتشريد لأبناء الأمة العربية من الضراوة بحيث أقضت مضجع شاعرنا وهو الذي أحب إخوانه في الأرض والعروبة والدين، حفرت هذه الأحداث في قلبه وأعماق نفسه ألما شديدا نغص عليه راحته، فراح يناضل بشعره من أجلهم، ويحض على الثورة ضد المستعمر، ويمجد رموز المقاومة، ويفجر ما انتابه في هذه الصرخات الشعرية المدوية التي تبرهن على النضال المستميت لأبناء الأمة وكفاحهم المستمر لنيل استقلالهم، واسترداد حريتهم(١).

(١) من القصائد التي بارك فيها الشاعر الثورة الجزائرية وغناها لوهران أيضا: العالم والحرية (أغنية من الجزائر) الأعمال الكاملة ١/ ٢٠٣، استطرادات في ليل وهران السابق ١/ ٦٤٨، العودة من غرداية (ثورة الجزائر): على سلم من هشيم الرياح ص ١٢٢.

لقد انطلق الرجل بقلمه وفكره وخياله لخدمة وطنه، ولبى نداء الوطنية عنده، ولم يقف عند حدود وطنه مصر فقط، وإنما تعدى ذلك إلى جل البلاد العربية والإسلامية، فراح يحض على الثورة، ويدعو إلى الحرية، ويئن لسطوة الاستعمار، ويصرخ لأخذ الثأر، ويعلو صوته للقضاء على المحتل، وقطع يد المستعمر الباغية.

وقد تواصلت وطنياته، ولم تنقطع صرخاته وأناته الشعرية، بل ظلت وطنية حسن فتح الباب دافعة له، تفجر ينابيع الشعر عنده، مهيمنة على كيانه، وقلبه ومشاعره وأحاسيسه، فأنتجت لنا هذه الشعرية المتوقدة، وهذه الصرخات العالية التي تزلزل القلوب، وتمخضت عن تجربة شعرية صادقة أشاد بها غير ناقد(١).

(١) انظر في ذلك: مقالات ودراسات أدبية ونقدية عن الشاعر حسن فتح الباب، جمعها مصطفى القاضي في كتاب وسمه بـ (الحياة الشعر والشعر الحياة، دراسات ورؤى نقدية في الأعمال الشعرية للدكتور حسن فتح الباب، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٩م.

# الفصل الرابع

# اللغة والأسلـــوب

## مدخل: اللغة وأهميتها

اللغة هي المادة الأولى التي يتكون منها العمل الأدبي، وهي وعاء الفكـرة، ووسيلة الاتصال بين المبدع والمتلقي، وبواسطتها ينقل الشاعر تجربته الشعرية ويعبر عن ما تكنه نفسه من مشاعر وأحاسيس وعواطـف وانفعـالات، إنهـا "الظاهرة الأولى في كل عمل فني يستخدم الكلمة أداة للتعبير"(١).

وعلى الشاعر أن يتخير من الألفاظ ما يفي بغرضـه فـي نقـل تجربتـه الشعرية، ويناسب حالته الشعورية، ويعينه على تصوير مشـاعره وأحاسيسـه، فينأى عن التعبير المباشر والسطحي، بحيث يتخطى المعنى المعجمي للكلمة إلى ما تشعه الكلمة من ظلال وإيحاءات ودلالات تتميز بها لغته الشعرية.

وتظهر مقدرة الشاعر الفنية في اختيار اللفظة الدقيقة الموحية التي تتـواءم مع المعنى الذي يود التعبير عنه، والفكرة التي يروم إبرازها، فيتخيـر اللفظـة المناسبة التي تفي بغرضه، وتقوي الفكرة وترسخها في ذهن المتلقي، وتكشـف عن هدفه من أيسر طريق، حتى يتهيأ لشعره التأثير والانفعال المطلوب.

والمتأمل في شعر حسن فتح الباب الوطني يجد أن الشـاعر عبـر عـن تجربته في قالب أدبي أخاذ، ينبئ عن انفعال حقيقي، وإحساس حـي بـالموقف الذي يعالجه، والفكرة التي يعبر عنها، وقـد اسـتخدم مفـردات تتناسـب مـع موضوع القصيدة الوطنية، وتتسم بالعنف والثورية، وتدل على بـروز الحـس الوطني وظهوره واضحا في شعره، وتؤكد على انفعاله بقضايا وطنـه وأمتـه العربية.

---

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: د/ عز الدين إسـماعيل ص ١٧٣، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة ١٩٦٦م.

## أولا: المعجم الشعري

استطاع الشاعر بث مشاعره والتعبير عن حسه الوطني، وانفعاله لقضايا وطنه، و لأمته، وعروبته في اتجاهين:

**الأول:** لغة تراثية قديمة أمدته بها ثقافته وعنايته بقراءة التراث الأدبي السابق عليه.

**الثاني:** لغة معاصرة فرضتها روح العصر، وألزمته بها وطنيته التي طفح بها شعره، وقوة انتمائه لهويته الإسلامية وأمته العربية وانشغاله بقضايا الوطنية من حوله.

أما فيما يتعلق بالاتجاه الأول وهو اللغة التراثية أو المعجم التراثي نجد أن حسن فتح الباب اتكأ على اللغة التراثية ولجأ إليها، إذ اعتمد على مفردات وصور لغوية تفي بالغرض الذي جاء من أجله، وفي هذا ما يكشف عن ثقافته واتصاله بالتراث، ويشف عن شاعريته، ويضفي على شعره القوة والأصالة، والقوة والرسوخ.

من نماذج اللغة التراثية عند شاعر قوله يرمز إلى دولة الدولار الكبرى وما تفعله في شعب بالعراق:

شلت رماه
شاهت وجوه للشياة
فاستذأبت رعاة
واستضحك النعاة
على ذوائب الجبل
لما بكى الحداة

ثم استوى الفلــك علــى الرقــاب
وانفجـــــــــر الجـــــــــودي
رهـــط معـــدّ منتـــدى قصـــيّ
بـــين مرايـــا الكهـــف والســـراب
لا قـــــيس لا ليلـــــى لا طلـــــل
لا قمر البيداء لا جرير لا الكميـــت
شدت على الأعناق أطواق النجـــاة
وعاد بعد ألف عام قـــوم عـــاد([1]).

الشاعر بدافع من وطنيته يشير إلى ما تفعله قوى البغي والعدوان بالعراق، مجابها قوى الاستعمار البغيضة التي تتدخل في شئون البلاد العربية، وتـــتحكم فيها ظلما وعدوانا، فقد استباحوا سلب الحريات، والقتـــل والنهـــب، والتشـــريد، وقضوا على الأخضر واليابس، وأوغلوا في هدم حضارة بغداد، مـــوطن العلـــم والأدب والشعر، وأبادوا كل ما يمت للحضارة الإسلامية بصلة.

**والمتأمل الكلمات:** (شلت، رماه، شاهت، الشياه، استذأبت رعـــاة، النعـــاة، ذوائب الجبل، الحداة، الفلك، الجودي، رهط معد، قصي، الكهف، قيس وليلـــى، طلل، البيداء، جرير، الكميت، الأعناق، أطواق، قوم عاد) يجد أنها ألفاظ تراثية قوية جاءت تتعانق مع بعضها لتفي بالغرض الذي أراده الشاعر وهـــو التأكيـــد على انتفاخ دولة الإفك والظلم في هذا الزمان، والكشـــف عـــن ســـلب القـــوى الاستعمارية حقوق العراقيين، والقضاء على حضارتهم، ومجـــدهم التليـــد مـــا

(١) الأعمال الكاملة: ٥٠٣/٢.

أمكنهم، وسيرهم في درب البغي والعدوان، والسلب والنهب، والفساد والاستبداد حتى أهلكوا الحرث والنسل.

وفي قصيدة أخرى نرى الشاعر يتمادى في استعمال هذه اللغة التراثيـــة أو المعجم التراثي، وينعى تكميم الأفواه والرضي بالذل والعار وما يفعله المستعمر في أرض العروبة، فيقول من قصيدة (بعد الصهيل):

**وباتت خيول لنـــا كالنعـــام**

**تبدلن بعد الصهيل البغـــام**

**ألا فاسقنا راعفات القـــداح**

**لعـــل مســـاجدنا لا تبـــاح**

**واغلي حرائرنا لا تباع(١).**

**المتأمل الكلمات:** (خيول، الصهيل، البغام، راعفـــات، القـــداح، حرائـــر)، يجدها تتصل بالمعجم التراثي، وهي توحي بالسكوت المخزي للعرب أمـــام مـــا يفعله المستعمر الباغي من قتل ونهب وظلم واستبداد، وسلب للحريات.

هذه اللغة التراثية تبرهن على وطنية الشاعر المهموم لحال بلاده ووطنـــه، وتكشف عن انشغاله بقضايا أمته العربية، والذود عن حياض الهوية الإسلامية، فكانت هذه الصرخة الشعرية علها تكون عونا في إيقاظ أمة طال نومها، وهانت عليها هويتها وكرامتها.

ونماذج هذه اللغة التراثية كثيرة في شعر الرجل، وأرصد هنا بعض هـــذه المفردات والعبارات التراثية؛ فمن ذلك: (الكهان، الأرائك، الطـــاغوت، الخنـــا، عاتيا، غازيا، العقيم، القوافل، الأصـــفاد، الســـديم، يستنســـر النعـــام، ملاعـــب

(١) الأعمال الكاملة: ٥٩٦/٢.

الفرسان، صارت أديما من نصال، تمخر في العباب، تميد جبال، أضحى أثـرا من بعد عين، ضلَّ في سراه حادينا،... الخ).

إن استخدام الشاعر لهذه اللغة التراثية يثري شعره ويضفي عليه الوضـوح والقوة والرسوخ، والأصالة والقيمة الفنية، ويكشف عن تعلـق الشـاعر بهـذا التراث وتأثيره فيه، وحسن توظيفه للمفردة التراثية المناسبة لموضوع قصـيدته الوطنية، كما يشف عن ثقافته الواسعة واعتماده عليه في التعبير عـن تجربتـه الشعرية، وبث ما يدور في خلده وما تحمله جوانحه الملتاعة من هـم لقضـايا وطنه وأمته الإسلامية والعربية.

**أما فيما يتعلق بالاتجاه الثاني:** وهو اللغة المعاصـرة أو المعجـم الـذي استجاب فيه الشاعر لروح العصر وقضايا الوطن؛ فهو كثير مبثوث فيه ثنايـا شعره الوطني.

فالمتأمل شعره الوطني يجد أن وطنياته تحوي سيلا هائلا من هذه اللغـة التي تسربت إلى معجمه الشعري من هذا الواقع المفعـم بالجهـاد، والنضـال، والمقاومة، المائج بالثورات وحركات التحرر من ربقة المسـتعمر، والانبعـاث العربي وما يصحب ذلك كله من تحريض ضد المستعمر، أو دعوة إلى الثورة. ومن نماذج هذه اللغة المعاصرة – وهي كثيرة في شعر الرجـل– قولـه مـن قصيدة (أسطورة الفردوس الموعود):

**وكانـــت المـــدينتان تـــرفلان**
**في كرنفـــال المـــرح المـــثير**
**وضـــجة الأقـــدام والخصـــور**
**عربـــــــدة الصـــــــدور**
**بـــين مرايـــا العولمـــة**

حـــين أتـــت إحـــداهما زلزلـــة
تهـــز عـــرش الملـــك الســـعيد
شـــــــــيطانها المريـــــــــد
وجاء مـــن أقصـــى المـــواني المكللـــة
بالنـــــــــار والحديـــــــــد
التـــــــــوأم المدلـــــــــه
سهم من السماء ســاطع الشــهاب
يقصف هام الناطحــات للســحاب
الشـــــــاهقات الشـــــــامخات
بصـــــــولة الـــــــدولار
وقبضـــــة الأحيـــــاء والأمـــــوات
بـــين يـــدي راعـــي البقـــر
راعـــــــــي الســـــــــلام
ينتهك الأسرار باسم العالم الحر الجديد
وينحـــــــــر الرقـــــــــاب
هديـــــة لعصـــــبة الشـــــتات (١).

ينعى الشاعر ساخرا دولة الدولار ذي المكانة الكبرى بـين دول العـالم، التي تزعم أنها راعية السلام، وأم الديمقراطية، فهي تعيش في رغد من العـيش

(١) على سلم من هامش الرياح: ص٩٥.

وتتسم بالغطرسة العمياء التي تجعلها ترى العرب وكأنهم ليسوا من البشر، تراهم كتب عليهم القتل، والموت، والتشريد، والجوع، والجهل، والتخلف...الخ.
وقد لجأ الشاعر إلى ألفاظ معاصرة تفي بغرضه، فنجد الكلمات: (كرنفال،مرايا العولمة، الدولار، المواني، التوأم المدله، الناطحات للسحاب، الشاهقات، العالم الحر)، وهي تكشف عن انتفاخ دولة الدولار، وتشف عن قوتها ومكانتها بين دول العالم الأوربي والعربي.

**والمتأمل العبارات:** (راعي البقر، راعي السلام، العالم الحر) يجد أنها توحي بالادعاء الكاذب الذي تدعيه دولة الدولار، إذ تدعي أنها أم الديمقراطية، وراعية السلام، وهي التي تنادي بحقوق الإنسان، وهي براء من هذا كله، فهي تدعي الكذب، وتترقب الفرصة السانحة لاحتلال الدول العربية والسيطرة على عقول أبنائها، وقد راحت تئد الديمقراطية، وتقتل السلام، وتشيع الموت والقتل في الإنسان وتسلب حقوقه، وتنهب الخيرات والثروات، وتشرد الأطفال والنساء وتهتك أعراضهن أمام عيون العالم، والعالم تمثال أبكم لا يتكلم ولا يحرك ساكنا.

هذه الألفاظ المعاصرة التي استقاها الشاعر من نبض الحياة المعاصرة تكشف عن الحس الوطني للشاعر المهموم بقضايا وطنه وأمته، وتوحي بتألمه لما يحدث من حوله لبني الإنسان، وهي تشف عن صدق الشاعر في نقل تجربته الشعرية ومدى انفعاله وغضبه وثورته التي لا تهدأ على هذا الواقع الأليم.ومن نماذج هذه اللغة المعاصرة أيضا قول الشاعر من قصيدة (للذين أتوا بعدنا أغني):

**للعيون التي قاتلت ليموت الظلام**
**ويسقط إفك السراب**

وذئـــــب المـــــواني الغريقـــــة
للمغنين تحت الحصار بمجـــد الحقيقـــة
للقـــــرى للنجـــــوع العتيقـــــة
للحواري للنعوش التي نفشـــت سمهـــا
فتكـــــــــــت بالأفـــــــــــاعي
غداة انتظار الـــذي ينصـــب المحرقـــة
ويضـــــــــيء الكهـــــــــوف
يوم أغرى المهرج كهَّانه بسلام القبور
فاســـتوى فـــوق رمـــح العبـــور([1]).

**فنجد الكلمات:** (المواني، القرى، النجوع، الحواري، النعـــوش، المحرقـــة، المهرج، العبور) وهي ألفاظ معاصرة تكشف عن تلاعـــب المســـتعمر بـــالبلاد العربية، وخضوع بعض الدول وأذنابها للمستعمر بما يسهل مهمته، ويعينه على فساده وبغيه واستبداده.

كما تشف هذه الألفاظ عن وطنية الشاعر، وحسه الوطني، وعدم رضاه عن السلام مع الدول الاستعمارية التي تشيع القتل والتشريد والبغي والعـــدوان فـــي البلاد العربية، بل في كل مكان تحل به، فالسلام معها بمثابة الغطاء لما تفعلـــه في بني الإنسان، والرضا عن سياسة القتل والتدمير، والتخريب والتشريد.

وقد شاعت هذه اللغة أو هذا القاموس اللغوي المعاصر في شـــعر الرجـــل الوطني؛ وأسجل هنا بعض هذه المفردات والعبارات المعاصـــرة التـــي منهـــا: (العراف، البيت الأسود، بيارات فلسطين، بني صهيون، الهنود الحمر، ضحايا،

(١) الأعمال الكاملة: ١٥٣/٢.

الميلاد، سيدة القرن العشرين، كعكة، العام الألفين، رماة الحجر، السفاح الأعمى، رعاة البقر، البنتاجون، شارون، الهيكل، المعبد، الدولار، هورشيما، نجازاكي، الفايتنام، البترول، الطائرات، الصواريخ، قنبلة، النابلم، براكين الغضب، زلزال الثورة، جيوش العرب، حقوق الإنسان، الصاعقة الذرية...الخ).

إن شيوع هذه اللغة المعاصرة راجع إلى انشغال الشاعر بقضايا وطنه وأمته، إذ منحه حسه الوطني معطيات تتعلق بالواقع الذي فرض عليه نفسه بروحه وأحداثه، ودفع الشاعر إلى التجاوب معه بآليات لغوية تتسم أحيانا ببساطة التعبير، وتكرار مفردات ذات دلالات معينة، والتركيز على أماكن وأسماء لها وقع خاص ومرتبط بعالم الوطنية والكفاح والمقاومة، ووجود هذا المعجم المعاصر بكثرة يعد من معطيات الوطنية التي فرضت نفسها هنا على المفردة، والجملة الشعرية الرامية إلى تحقيق دلالات عصرية، قد تكون سياسية، أو اجتماعية، أو قومية(١).

وقد برزت في وطنياته أسماء شخصيات تراثية ومعاصرة مرتبطة بالعصر وبواقع الكفاح، أو بواقع ما تبثه من دلالات معينة قد تكون دلالات الزهو والفخر، أو الغطرسة والصلف وما إلى ذلك.

فمن ذلك أسماء الشخصيات والانتصارات التي تدل على عزة العرب والمسلمين وشهدائهم قديما وحديثا، من مثل: بدر، حطين، شدوان، أكتوبر، صلاح الدين، الحسين، خالد بن الوليد، عمرو بن العاص،عبد الناصر، فاروق نجم، حسني حماد، محمد الدرة، وفاء إدريس، إيمان حجو، سناء محيدلي، العربي بن مهيدي، عبد الحميد بوصوف.

(١) انظر: وطنيات هاشم الرفاعي ص ١٩١، ١٩٢.

ومن الأسماء التي ترتبط بالغطرسة والصلف وما إلى ذلك: عـــاد، ثمـــود، يهوذا، العمالق، التتار، نسل المماليك، اليهود، شارون، دولـــة الـــدولار، وقـــد استخدمها الشاعر للدلالة إلى القوى الاستعمارية الغاصبة للأرضي العربية.

كما شاعت أسماء المدن والبلاد العربية وغير العربية في معجمه الـــوطني ومن ذلك: مصر، سيناء، الإسكندرية، بور سعيد، الســـويس، دميـــاط، القـــدس، الأقصى، فلسطين، غزة، أريحا، رام الله، يافا، نابلس، دير ياسين،إسرائيل، تـــل أبيب، العراق، بغداد، كربلاء، أمريكا، نيويورك، ســـوريا، الجـــولان، لبنـــان، الجزائر، سراييفو،كابول، البوسنة، الهرسك،.... الخ.

وهي تكشف عن أن وطنية الشاعر ليست مقصورة علـــى وطنـــه مصـــر فحسب، بل تتسع دائرة الوطنية عنده لتشمل العالم الإسلامي والأمـــة العربيـــة، وفي هذا ما يشف عن حسه الوطني العميق.

كما شاعت مفردات الهجاء والسب واللعن لبني صهيون ودولـــة الـــدولار والمستعمر في كل زمان ومكان؛ ومن هذه المفـــردات: الأحـــزاب، الشـــيطان، الأعداء، القرصان، الذئب، الصعاليك، مجرم حرب، جلاد الشـــعب، مغتصـــب، الغربان، الأفعى، البغايا، الثعالب، الإرهابيين، السجان، الظلم، القهر، الســـيف، البغاة، الطغاة، السجون، الطاغية،...الخ.

كما برزت ألفاظ وعبارات تحرض على النضـــال والثـــورة، والمقاومـــة، والوقوف في وجه المستعمر من مثل: الوطن، أكتوبر، النصر، الثورة، الفارس، البطل، الفرسان، النضال، المناضلون، الفداء، الجهاد، الكفاح، الصبح، النـــور، الظلمة، أسير، شهيد، جريح، عاصفة، شهابا صاعقا، نخوض بحار النار...الخ. هذه المفردات تكشف عن وطنية الشاعر، ودعوته إلـــى الوقـــوف فـــي وجـــه المستعمر، والتحريض على الثورة ضده، وتشف عن نضاله بشعره وبـــث روح المقاومة والكفاح والجهاد في نفوس العرب والمسلمين لمقاومة المحتل.

كما وجدتُ ألفاظا معاصرة تكشف عن القتل والتدمير والهلاك وبشاعة فعل المستعمر وما يفعله بالعرب والمسلمين، من مثل: الرصاص، طلقات، طائرة، قنبلة، النابلم، شظايا، سوداء، بركة دم، القتل، الموت، احتضار، استغاثة، أشلاء، جريح، شهيد، مخضب بالدماء، الطوفان، الأسود، الخراب، الظلام،العاصفة السوداء، اليوم الأسود، بركان، زلزال، رعد، برق، ريح صرصر..الخ.

وهي توحي ببشاعة المستعمر وما يفعله في البلاد العربية من قتل ونهب، وهلاك، وتدمير، وتخريب، وتشريد، ونهب للثروات والخيرات.

كما وجدتُ ألفاظا تدل على الأمل والحلم بالخلاص والاستبشار بالحرية والاستقلال، ومن ذلك، الفجر، الصبح، الخلاص، النجاة، الضياء، النهار، الأفق، النور، الاستقلال، الحرية، الحياة، المشرق، المستقبل، رايات الضحى، زغاريد، مجد الشهداء، الشعب الأبي، البواسل، سامقا، تصدع، أنوار اليقين، النصر المبين.

هذه الألفاظ تكشف عن الأمل في الحرية والاستقلال، واليقين في النصر القريب، وهي تشف عن القوة الكامنة في النفوس المؤمنة التي تنتظر الفرصة لتصب جام غضبها على الغاصبين المستعمرين في كل مكان، لتستعيد الكرامة المسلوبة، والحرية المغتصبة، وتثأر للأرض، والعرض، والقتل، وتشف عن استبشار الشاعر بالحرية والخلاص من ربقة المستعمر، والقضاء عليه.

مما سبق يتضح لنا أن شاعرنا استعمل اللفظ الموحية التي تشف عما في نفسه ومشاعره تجاه وطنه، وتكشف عن اهتمامه لقضايا أمته، وتعمق تجربته الشعرية، وتبرز المعنى الذي يرومه وتوضحه، وترسخ رؤيته في ذهن المتلقي وفكره، بما يوقظ المتلقي ويثيره، ويضمن لشعره النجاح والقبول.

## ثانيا: ظواهر أسلوبية

المتأمل في شعر حسن فتح الباب يجد شيوع بعض الأساليب التي وظفها الشاعر لتكوّن أسلوبه الخاص، وتفي بغرضه في نقل تجربته الشعرية، والتعبير عما يحس به من آمال وآلام نحو وطنه، وأمته الإسلامية والعربية. ومن هذه الظواهر والسمات:

### ١- الاستفهام

شاع الاستفهام في شعر حسن فتح الباب الوطني، فقد تساءل كثيرا بدافع من وطنيته: تارة يخاطب نفسه مستفهما، وتارة يسأل الضمير الإنساني والعربي، وقد علت صيحاته الشعرية متسائلا عن سبب القتل وإراقة الدماء، وكثرت أناته الشعرية وحزنه وألمه لما يفعله المستعمر في بلاد العرب والمسلمين من قتل، ونهب، وتشريد، ووأد لحقوق الإنسان، وهدم للديمقراطية، وإهدار للكرامة العربية في فلسطين والعراق، ولبنان وغيرها من الدول العربية.

ونماذج الاستفهام كثيرة في ديوان شاعرنا الوطني، ومنها ما جاء في قصيدة (رسالة من الأرض المحتلة). يقول الشاعر محرضا على النضال والثورة والوقوف في وجه المستعمر:

**الأبواب مفتحة للشيطان**

**من يرميه بحجر منكم؟**

**من يرميه بسهم؟**

**يطلقه بين العينين**

**يغرس رمحا بين الكتفين**

من يقتلع الأقدام اللاهثة وراء الدم؟
تجمعـــــه تســـــقيه الأفعـــــى
ممزوجـــــا بـــــاللبن الأســـــود
لـــــــــبن الأم الثكلـــــــــى
ودمـــــاء الرفقـــــاء القتلـــــى
مـــــن يقتلـــــع الشـــــيطان؟ (١).

استفهامات متوالية تكشف عن روح وطنية سيطرت على الشاعر وجعلتــه يحرض على الثورة على المحتل، والنضال من أجل القضاء علـــى المســـتعمر، والثأر للمجروحين والمقتولين والمشردين من ذلك الشيطان الباغي الذي يهــوى القتل، ويعشق رائحة الموت؛ والشاعر يرمز (بالأفعى) لإسرائيل التـــي تســـعى للقتل وإراقة دماء أبناء فلسطين وأطفالها وتشريدهم لتحقيــق غــايتهم، وهـــي التخلص من كل عربي لإقامة دولة إسرائيل وعاصمتها القدس.

هذه الاستفهامات توحي بما تفعله دولة بني صهيون في أرض فلسطين من قتل، وتشريد، وتدمير، كما تكشف هذه الاستفهامات عن الروح الوطنيـــة التـــي تسيطر على حس الشاعر ووجدانه تجاه فلسطين، وتدل على انتمائـــه لعروبتـــه وأمته.

كما كان للاستفهام دوره المهم في إيقاظ المتلقي، وشد انتباهه ولفته إلى مـــا تفعله قوى الاستعمار الباغية في أرض فلسطين من قتل، ونهب، وتدمير... الخ.

ومن نماذج الاستفهام أيضا قول الشاعر من قصيدة (فوق العاصفة):

يـــــا رفيقـــــي لا تخـــــف

(١) الأعمال الكاملة: ١/٤٤٣.

لا يجف قلبك لا: لا ترتجـــف...
أترى هـــذه الأفـــاعي الزاحفـــة
والقبـــــــــور العاصـــــــــفة
أتراهـــــــــا تســـــــــتطيع
أن تهز الجبـــل العـــالي الأشمـــا؟
أن تبيـــــــــد الهرمـــــــــا؟
ربمـــا تقـــدر أن تحـــني الجســـد
أتراهـــا تهـــزم الـــروح العلـــيّ؟
والرفيـــــــــق المســـــــــتميت
لفداء الشعب: لا شلت يداه (١).

الاستفهام هنا بالهمزة في قوله (أتراها) استفهام انكاري، فالشاعر يســتبعد ويستنكر أن تستطيع عاصفة الاستعمار مهما اشتدت قوتها وطـــال هبوبهـــا أن تقضي على المقاومة العربية في سوريا ولبنـــان، لا تســـتطيع هـــذه (الأفـــاعي الزاحفة) أن تبيد العروبة مهما طال جثومها على الصدور، ومهما بلغت قوتهـــا واستفحلت، وبثت سمومها في الصف العربي، فسوف يناضـــل أبنـــاء ســـوريا ولبنان من أجل الحصول على استقلالهم، واسترداد حريتهم.

إن أسلوب الاستفهام من الأساليب المهمة التي لها دورها في إثارة الحركة في النص، وصبغه بالحيوية، كما تشد المتلقي وتثير انتباهه، وتجعلـــه يشـــارك الشاعر تجربته الشعرية ويشعر بما يجيش في نفسه وما يمور فـــي مشـــاعره.

(١) على سلم من هشيم الرياح ص ٨٩-٩٤.

وكما أشرت فنماذج الاستفهام في شعر حسن فتح الباب الوطني كثيرة([1])، وهي تكشف عن الحس الوطني المسيطر على الشاعر تجاه وطنه، وأمته العربية، واهتمامه لما يصيبها.

## ٢ - التكرار

التكرار من الظواهر الأسلوبية التي برزت بوضوح في شعر حسن فتح الباب الوطني، وهو من الأساليب المهمة التي تكشف عن أهمية الفكرة، ومدى سيطرتها واشتمالها على ذهن الشاعر، وتعكس إلحاحه على حفر هذه الفكرة ومحاولة غرسها في قلب السامع، كما أن التكرار يعمق المعنى في نفس المتلقي، ويوضحه ويجليه، إلى جانب ما يحدثه تكرار المفردة أو الجملة من أثر موسيقي له دوره في جذب المتلقي وشد انتباهه وإيقاظه.

إن اللفظ المكرر يستطيع أن يغني المعنى ويرفعه إلى مرتبة الأصالة، إذا استطاع الشاعر أن يسيطر عليه سيطرة كاملة، ويستخدمه في موضعه، لذا لا بد أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلا تحول هذا التكرار إلى تكلف وابتذال يضر أكثر ما ينفع([2]). وقد لجأ الشاعر إلى التكرار كثيرا، ومن نماذج ذلك قوله يغني لمصر ويشيد بأبنائها وشهدائها:

وحـــان القصـــاص

وهاهم حمـاة الحمـى

---

(١) انظر نماذج أخرى للاستفهام: ديوان على سلم من هشيم الرياح، قصيدة (بين ماض وآت) ص ٣-١٢، و(لمن تدق هذه الأجراس؟) السابق: ص١١٧، وديوان أرقني الشوق إلى العادلين قصيدة: (ألا..لا) مفر ص ٧١- ٧٤، والتي بناها على الاستفهام، وغيرها.

(٢) انظر: قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة ص ٢٦٣، ٢٦٤، دار العلم للملايين، بيروت، الثامنة ١٩٨٩م.

يهتفون مع الشـــهداء:

سلام لمصر مع الأنبيـــاء

سلام عليها من الخالدين

ســـلام مـــن العـــالمين

سلام على العـــالمين(١).

إن وطنية الشاعر وحبه لمصر فرضت عليه أن يغني لها ويشـــيد بأبنائهـــا البواسل حماة الوطن، وشهدائها الأبرار، وفي سبيل ذلك تمنى أن تكون مصـــر في سلام وأمان مادامت الحياة.

وقد كرر كلمة (سلام) أكثر من مرة ليؤكد على حبه لهذا الوطن، ويتمنـــى أن يكون في سلام أبدا من كيد الكائدين وعدوان المعتدين، فالسلام لمصر مـــع الأنبياء، والسلام عليها من الخالدين والعالمين.

ومن ذلك – أيضا – قول الشاعر يجسد شوق أبناء مصـــر إلـــى الحريـــة وتحقيق هذا الحلم الذي يراود المصريين من سنوات:

ما زلـــتم أطفـــالا ورجـــالا تنتشـــرون

ملء الأرض الحبلى بالجنـــد المجهـــولين

ملء الأنفاس الحـــرّى شـــوقا للحريـــة

ملء البحر الحاني شوقا للأرض السمراء،

مـــــا زلـــــتم صـــــوت الأبديـــــة

مرحى يا ملاحـــي الأرض الجهمـــة(٢).

(١) أرقني الشوق إلى العادلين: ص ٥٠.

(٢) الأعمال الكاملة ١/ ٥٦٠.

كرر الشاعر كلمة (ملء) ثلاث مرات، وهذا التكرار يؤكد شوق أبناء مصر إلى الحرية التي سلبها العدو الصهيوني على حين غفلة منهم بضع سنوات، ذاقوا فيها ألم الهزيمة، وذل الاستعمار، لكنهم لم يتخاذلوا عن الدفاع عن وطنهم، ونيل حرياتهم، ورد كرامتهم المسلوبة، وإعداد العدة حتى نصرهم الله، فاستعادوا الكرامة المصرية، واستردوا حريتهم المسلوبة.

كذلك كرر عبارة: (ما زلتم) مرتين ليدل على عدم تخاذلهم وسكوتهم على الاحتلال وصمتهم أمام هذا العدو الغاصب، لقد كان الشوق للحرية نبض كل مصري، ونفَس كل وطني، كان الخلاص من هذه العدو الجاثم فوق الصدور أمنية عزيزة المنال، ولما اتحدت الأفكار، ووقف أبناء مصر البواسل يدا واحدة في مواجهة العدو الصهيوني، غدا النصر حليفا للمصرين، وملأت البهجة القلوب فرحا بهذا النصر.

ونماذج التكرار كثيرة(١) تكشف أن الشاعر اعتمد عليه كوسيلة للتوكيد والإفهام، وإبراز الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي، وحفرها في عقله وقلبه، و إبراز المعنى وتوضيحه.

### ٣- الحس الدرامي

الشعر حين تظلله القصصية السردية، والحكي المستوعب للحدث، والدرامية التي تلف الأسلوب وتسيطر عليه، حيث الحوار، والسرد، والأشخاص، والحدث- يسلك مسلك الحيوية، ويتسم بالثراء والحركة، وتبدو فيه قدرة الشاعر الإبداعية.

---

(١) انظر نماذج أخرى للتكرار: الأعمال الكاملة: ١/١٧٦، ٣٣١، ٣٨٩،٣٩٥، ٢/٤٩٥. على سلم من هشيم الرياح ص ١٥١، ١٦٣، أرقني الشوق إلى العادلين ص٤٦،٧٤، ٧٩، ٨٠، وغير ذلك.

وقد ظهر الحس القصصي وعناصر البناء الدرامي في شعر حسن فتح الباب الوطني، وبدا فيه أسلوب القص والحكي في معالجة كثير من القضايا الوطنية، وفي هذا ما يضفي على شعره الإثارة والمتعة الفنية، ويشد المتلقي ويجذبه.

إن الأسلوب القصصي في رسم الصورة الشعرية "يساعد الشعراء على الابتعاد عن سطحية المباشرة من جهة، والإيغال في الغموض والإيهام من جهة أخرى، كما أنه يبعث الحيوية والتشويق في القصيدة"(١).

ومن نماذج ذلك ما جاء في قصيدة (أطفال بحر البقر) التي سجل فيها الشاعر ألمه لقتل الأطفال، وبشاعة هذا القتل وما يفعله المستعمر الصهيوني حتى لم تعد عنده ذرة من كرامة أو إنسانية أو ضمير ليلقي قنابل النابلم على مدرسة بحر البقر الابتدائية، لنجد الأطفال تلك البراعم المخضرة ما بين قتيل وجريح في حادثة يندى لها الجبين، وتهز المشاعر، وتدمي الفؤاد، فجاءت القصيد مشحونة بالحركة المثيرة والصراع الداخلي والخارجي.

ففي مشهد درامي يسجل الشاعر سعادة الأطفال وهم في مدرستهم في الفصل يتهامسون ويتبادلون نظرات الود والمحبة بين سماع المعلمة وبين البهجة تملأ قلوبهم، وبأيديهم الأقلام وأمامهم الكراسات، وفجأة تتشح الكراسات باللون الأحمر، ويسطر القلم سطورا من دم، يقول الشاعر مصورا هذا المشهد المؤثر:

**أحمد كان يغني كالعصفور الأخضر**

**يمشي مختالا في ردهات الفصل**

---

(١) حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر: د/ عثمان الصالح، ٦٩٨/٢ السعودية، الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.

ويُســـر لزينـــب خطـــك أجمـــل
ســـتكونين مدرســـة في مصـــر
وســـأغدو طيـــارا في الجبهـــة
لا تأســـــــــــــــــوا
أحمـــد لمـــا أطلـــق أول صـــرخة
لم ينس رفيقته في الصـــف الأول
وجـــدوه يحتضـــن ضـــفائرها
بذراعي طيار في السابعة من العمر
سقط الطيـــار وماتـــت زينـــب
لا تأســـــو.. لـــــن تفتقـــــدونا
مـــــا زلنـــــا أحيـــــاء(١).

لقد برع الشاعر في خلق هذا الجو الدرامي ليؤكد علـــى عمـــق المأســـاة، وقسوة الحدث، وشدة المعاناة التي يعيشها، وما تحتويه نفسه من ألـــم ومـــرارة على هذه الزهور اليانعة التي عصفت بها ريح الظلم والاستبداد العاتية، إذ نرى أحمد ذلك التلميذ الصغير ابن السبع سنوات يحلم أن يكون طيـــارا يـــدافع عـــن وطنه وبلده، ويهمس لزميلته زينب ذات الخط الجميل أنها ستكون مدرسة فـــي مصر، وفجأة تقتل هذا الحلم قنابل النابلم التي ألقتها الطائرات الإسرائيلية علـــى مدرسة بحر البقر، لنجد أحمد وزينب وقد تطـــايرت أشـــلاؤهما فـــي ردهـــات الفصل.

(١) الأعمال الكاملة: ١/٤٣٥، ٤٣٦.

إن صورة الصراع والحركة الثائرة تتضح في تلك المفارقة المؤلمة،(حينما أطلق أحمد أول صرخة، لم ينس رفيقته في الصف الأول، وجدوه يحتضن ضفائرها) حيث كان التلاميذ (الشخصيات) في مدرستهم (الفصل/ المكان) بين التعلم والدرس، والبهجة والمرح، وفجأة (وقت الضحي/ الزمان) اتشحت الكراسات باللون الأحمر القاني، واختلطت البراءة بقنابل النابلم، وعلت الكراسات أشلاءهم التي تطايرت، لقد قتل العدو الصهيوني المستبد الحلم، وأمات البهجة، وترك في قلوب الآباء والأمهات وكل من عنده قدرا من الإنسانية جرحا غائرا لا يندمل، فما ذنب هذه الزهور اليانعة حتى تقتل وتتطاير أشلاؤها، ماذا جنوا حتى يموتوا بهذه الطريقة البشعة.

إن تلك الدراما التي تئن من أثرها القلوب، وتكاد تخلعها من أماكنها، قد غلفت النص بالتوتر والإثارة، والحركة المفاجئة، وكشفت عن إحساس الشاعر المتمكن منه وهو تألمه لقتل هذه البراعم المخضرة.

إنها حقا "مفارقة درامية يختلط فيها الحلم الأخضر، وجمال البراءة، وعفوية الطفولة بالنابلم الذي يحرق كل شيء في مدرسة بحر البقر الابتدائية، ويمزق أحلام الصغار مع كتبهم وأوراقهم"(١).

و يتجلى هذا الإطار الدرامي أو الحس القصصي في مشهد يعبر عن صورة أم تبحث عن طفلها الوحيد من قصيدة (طائرة ورقية)(٢) التي تنعى قتل الأطفال –أيضا– وهدم المخيمات الفلسطينية، يقول الشاعر مستهلا الأحداث:

**خرجت تبحث في بهو الدار**

**في جنبات مخيم**

---

(١) الحياة الشعر والشعر الحياة، دراسات ورؤى نقدية في الأعمال الشعرية للدكتور حسن فتح الباب: ص ٢٣٢.

(٢) على سلم من هشيم الرياح: ص ٨٤، ٨٥.

عـــــن قـــــرة عينيهـــــا
طائرهـــــــا الممـــــــراح
فارسها المنذور لخوض الـــيم
بعـــــد فـــــراق المـــــلاح
إن هـــــــي إلا خطـــــــوة
حتى سقطت تطلـــق صـــرخة
كانت تحت النافذة العلويـــة
أشلاء مـــن طـــائرة ورقيـــة
آثار من طلقـــات رصـــاص
بركـــــــــــــــــة دم
وعلى غصن شـــجيرة كـــرم
فـــــــــوق المهـــــــــد
يتدلى عصفور في عمر الـــورد
بين شـــظايا حلـــم أخضـــر
وعلـــــى الأفـــــق تحـــــوم
غربـــــــان ســـــــوداء
تجتر قرابين الموتورون الحمقى
المخضوبة بـــدماء الأطفـــال
وأساطير الشـــذاذ الغرقـــى
في طوفان الحقـــد الأعمـــى

يرسم الشاعر صورة أم تبحث عن ولدها الصغير(الشخصية الرئيسة)، وكان يلهو مع أترابه بطائرته الورقية، وفجأة( بداية الصراع) تجد الأم طفلها مقتولا بأيدي الصهاينة الجبناء، والشاعر هنا يلقي الضوء على ما تفعله إسرائيل من قتل للأطفال وهدم المخيمات في فلسطين، لا تهتم لأنين الثكالى والمجروحين ضاربة بالقوانين الإنسانية عرض الحائط.

فنجد الروح القصصية تشع بظلالها في هذا الشعر، ويتنامى فيه البناء الدرامي البسيط الذي يكشف عن قوة الشاعر الإبداعية، وحسه الوطني العميق، فهو يحاول أن ينقل الصورة بشتى السبل ليقنع المتلقي ويجذبه، ويؤكد على فداحة الخطب وشدة الرزء، ويدل على بشاعة فعل المستعمر، هذا كله في إطار درامي وبناء قصصي جذاب يقنع المتلقي ويمتعه، ويضفي على شعره الإثارة والحيوية، ويسمه بالحركة والوضوح، والمتعة الفنية(١).

## ٤- التناص

من الظواهر الأسلوبية البارزة في شعر حسن فتح الباب الوطني ظاهرة التناص، وهو من الأدوات الفنية المهمة في الإبداع الأدبي، يستعين به الشاعر ليوثق صلته بالتراث، ويتفاعل مع الروافد السابقة عليه، والتي ترسبت في ذاكرته بقصد منه أو دون قصد.

والتناص – أو التعالق النصي- هو دخول نصوص قديمة في علاقة وجدلية مع نص أو نصوص حديثة بكيفيات مختلفة، ولا شك أن التضمين والاقتباس في هذا الضوء يشكلان عاملين مهمين في تعانق النصوص مع

(١) انظر نماذج أخرى للحس الدرامي: الأعمال الكاملة ١/٩٦- ١٩٩، ٢٠٣-٢٠٨، ٤٤٥- ٤٤٩، ٦٢٩- ٦٣٣، ٢/٤٧٦ – ٤٨١، ٤٨٢- ٤٨٥، أرقني الشوق الى العادلين ص٢١-٢٤، وغيرها.

بعضها البعض، سواء كان هذا بواسطة المعارضة، أو الأخذ، أو غيرهما من آليات التناص([1]).

والشاعر المعاصر ليس الذي يعبر عن عصره فحسب "بل هو الشاعر الأصيل الذي يستمد من الماضي ما يمنح حاضره خلودا كخلود الماضي، وما يمنحه النظرة الصائبة لاستشراف المستقبل والتحرك صوابه"([2]).

والتناص أساسه التفاعل والتشارك بين النصوص، وهذا يقتضي الحفظ والمعرفة بالنصوص السابقة، لأن النص يعتمد على تحويل النصوص السابقة وتمثيلها بنص موحد يجمع بين الحاضر والغائب وينسج بطريقة تتناسب وكل قارئ مبدع([3]).

وهو يحتاج من المبدع ثقافة واسعة تمكنه من توظيف التراث السابق عليه توظيفا فنيا يحقق لعمله الفني الهدف المرجو منه، وهو لا ينفي عن الأديب أصالته وابتكاره، بل يؤكد صلته بالتراث وما سبق عمله من أعمال، كما يهب النص قيمة فوق قيمته، ويضفي عليه القوة والأصالة، ويضمن جذب المتلقي وإقناعه.

إن اعتماد الشاعر على التراث في تصويره يعطيه قدرة على الإيحاء والتأثير والإقناع، لما للتراث من حضور حي ودائم في الوجدان، ذلك أنه من أقوى الوسائل تأثيرا في نفس المتلقي([4]).

---

(١) انظر: تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص) د/ محمد مفتاح، ص ١٢١، المركز الثقافي العربي، بيروت، الثالثة ١٩٩٢م.

(٢) هذا هو الشعر الحديث: د/ أحمد سليمان الأحمد ص ٧٧، دمشق ١٩٧٤م.

(٣) انظر: التناص الشعري، قراءة أخرى لقضية السرقات: د/مصطفى السعدني، (المقدمة)ص ٨، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩١م.

(٤) انظر: استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر: د/ علي عشري زايد

وحسن فتح الباب من الشعراء المعاصرين الذين ولوا وجوههم شطر التراث يمتحون منه لرفضهم الواقع العربي المتردي، واستنهاضهم الهمم، والحض على الثورة ضد المستعمر، ومقاومة الظلم والاستبداد، عكف عليه، ووجد به مادة ثرية، فراح يمتح منها، ويضفر شعره بها، ويطعم أسلوبه بهذا التراث الذي يعطي شعره أصالة وقوة فوق ما يتسم به من قوة وأصالة في التعبير. وقد تعددت صور التناص عند شاعرنا، ومنها:

**أ- التاريخي الإسلامي**

استدعى الشاعر التاريخ الإسلامي واستعان في تصويره بأحداثه وأعلامه، "فالأحداث التاريخية والشخصيات التاريخية ليست مجرد ظواهر كونية عابرة تنتهي بانتهاء وجودها الواقعي، فإن لها إلى جانب ذلك دلالتها الشمولية الباقية والقابلة للتجدد – على امتداد التاريخ – في صيغ وأشكال أخرى([1]). ومن نماذج ذلك قول الشاعر يستدعي موقف النبي (ﷺ) في غزوة حنين:

**الفارس الرجيم يستحم في النجيع**
**يستجد بالمداد**
**يطاول النياق**
**فوق حقول الزيت والرماد....**
**منتحلا أرجوزة للمصطفى: (أنا النبي لا كذب**
**أنا ابن عبد المطلب)**

---

ص١٦، دار الفكر، القاهرة ١٤٧١هـ- ١٩٩٧م.

(١) استدعاء الشخصيات التراثية: ص١٢٠.

تبـــــــت يـــــــدا أبي لهـــــــب(١).

لقد كشف المستعمر عن وجهه البغيض وكشر عن أنيابه، فاستباح الـدماء في شوارع العراق حتى سالت أنهارا، وفجر آبار البتـرول، ونهـب ثـروات العراق وخيراته، وكذب على العالم، متقنعا في ذلك بوجوه ملونة يخفي خلفهـا وجهه القبيح.

والشاعر يستدعي ما حدث في غزوة حنين حين أعجب المسلمين بكثـرتهم حتى قال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة، فأراد الله سبحانه أن يعلمهم أن النصر بإذن الله لا بقوتهم ولا كثرة عددهم وعدتهم، إذ لم تغن عنهم هذه الكثرة من الله شيئا وضاقت عليهم الأرض بما رحبت، ثم ولوا مدبرين، ثم أنـزل الله سـكينته عليهم حين نادى النبي (ﷺ) فيهم بقوله: "أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب" حتى اجتمع إليه القوم، وحمي الوطيس، فما هي إلا ساعات قليلة حتى كتـب الله لهم النصر.

واستدعاء هذا النص يشف عن خبث المستعمر، والادعات الكاذبـة التـي تدعيها القوى الاستعمارية في محاولة للتستر على ما تفعله في العراق من قتل، ونهب وتخريب، وسرقة للثروات، ونهب للخيرات.

كما يقتبس الشاعر من الآية القرآنية (تبت يدا أبي لهب)(٢)، ليكشف عـن تألمه لهذا الوضع الذي يؤرقه ويؤرق كل وطني غيـور علـى وطنـه وأمتـه العربية وأخوته في الإسلام والعروبة، فتبا لأولئك الذين يقتلون الأحلام، ويئدون الحرية في مهدها، ويعرقلون طريق الوحدة والدعوة إليها، ويقفـون بالمرصـاد

(١) الأعمال الكاملة ٢/٥٠٥.

(٢) سورة المسد، من الآية (١).

لكل نهضة وتقدم عربي، ويقطعون رأس كل من يرفع رأسه من بلاد العرب والمسلمين.

واستدعاء شخصية أبي لهب – لعنه الله– والتي كانت غايته هدم الدعوة الإسلامية ووأدها في مهدها، ترمز للقوى الاستعمارية وما تشيعه في العراق من البطش والقتل والتشريد والتخريب وسلب الكرامة العربية، وهدم كل ذي قيمة، بل هدم الإنسانية ووأد الحرية.

ومن نماذج استلهام التاريخ الإسلامي أيضا قول الشاعر يستدعي غزوة أحد:

**أحـــــــــــــــــــــــد**

**أحـــــــــــــــــــــــد**

**ما كنت عبدا للردى ما كنت**

**تبـــــت يـــــدا وحشـــــي**

فالشاعر يستدعي غزوة أحد التي لاقى فيها المسلمون الاضطراب والهزيمة بسبب عدم انصياع الرماة لأوامر النبي (ﷺ)، والشاعر هنا يوازن بين الحال التي أصابت المسلمين في هذه العزوة وما أصاب العراق وحل بها من تدمير وقتل ونهب وتخريب.

فالحال واحدة خالف الرماة أوامر النبي (ﷺ) فحل بهم ما حل من التقهقر حتى كرَّ خالد بن الوليد عليهم مرة أخرى وقت انشغالهم بجمع الغنائم، كذلك استمع العراق للدعوات الهدامة فغزا الكويت ولم يرع حق الجار وأغار على إخوانه في الدين والعروبة، فكان ذلك ذريعة لقوى الاستعمار أن تغزو العراق وتتدخل في شئونه.

**ب– الشعر**

للشعر العربي حضور واضح في شعر حسن فتح الباب الوطني، فقد لجأ إلى ديوان الشعر القديم يستقي منه ما يسعفه في أداء المعنى، وإبراز الفكرة وترسيخها في ذهن المتلقي، وتصوير المشهد أو الموقف الذي يريد أن ينقله للمتلقي، وفي هذا ما يضفي على شعره دلالات تعمق المعنى وتقويه، وتدعم الأفكار وتبرزها، ويحقق الصدق والأصالة لشعره، ويكشف عن ملكته الأدبية، ومقدرته الفنية. ومن نماذج ذلك قول الشاعر يتغنى بحب مصر، مؤكد على وطنيته:

(تقول التي من بيتها خف مركبي
عزيز علينا أن نراك تسير
أما دون مصر للغنى متطلب
بلى إن أسباب الغني لكثير)(١).
هنا مهبط العارفين حبيبي
وموئل كل الضحايا الصحابة وابن السبيل
وحبك أحلى بيوت العذابات أندى
صليب وأبهى النضال النصال(٢).

الشاعر في تغنيه بحبه لوطنه مصر يكشف عن هيامه بهذا الوطن وحنينه إليه، فمهما حل وارتحل تبقى مصر حبيبته وأنسه، وغناه ومصدر بهجته، إنها

(١) البيتان من شعر أبي نواس (من بحر الطويل): ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ الحكمي) تحقيق: ايفالد فاغنر ٢٤٦/١، بيروت، الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
(٢) الأعمال الكاملة: ٣٠/٢.

مطلبه الأول والأخير ولا بديل عنها سواها، والشاعر يستدعي بيتين من الشعر القديم وهما يكشفان عن تعلقه بمصر وحنينه اليها.

ومن ذلك أيضا قول الشاعر ينعى الشعارات البراقة التي تتشدق بها القوى الاستعمارية، والدعوة إلى التحضر والانسلاخ من الهوية، وتزييف الحقيقة، يقول مستهلا بهذا الاستفهام الإنكارى الذي يحمل معنى التوبيخ:

**الشعارات– وما أدراك ؟ هل**

**أشبعت جوعى مساكين عراة؟**

**والحضارات وما قد سفحت**

**من دم الأحرار واغتالت أباه**

**أوجه بيض على سواد العلل (١).**

استفهام توبيخي يقذفه الشاعر الثائر في وجه المتشدقين بالشعارات البراقة والنداءات الرنانة من قوى الاستعمار الكبرى، هذه الشعارات تعادل تماما السم في العسل، فهم لا يريدون سلاما، ولا يوزعون حريات، يودون لو تتسع قبضتهم لتتحكم في العالم كله.

وفي قوله: (أوجه بيض على سواد العلل) تناص وتحوير لقول بشار:

**وَلِلبَخيلِ عَلى أَموالِهِ عِلَلٌ  زُرقُ العُيونِ عَلَيها أَوجُهٌ سودُ(٢).**

---

(١) الأعمال الكاملة ٥٨٦/٢ .

(٢) ديوان بشار بن برد: شرح أ/ محمد الطاهر بن عاشور ١٢٨/٣، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٦هـ– ١٩٥٧م. العلل: المعاذير التي يبديها البخيل ليصرف العُفاة، وسميت علل لأنه يبرهن بها على وجه منع العطاء.

وهو يكشف عن ثقافة الشاعر، وتأثره بالتراث الشعري القديم واغترافه منه، وتضفير شعره به، وقد استقى منه ما يعينه على أداء المعنى، ويكشف عن الفكرة ويجليها.

إن استلهام النص الشعري يتجلى واضحا عند شاعرنا فطبيعته الشاعرة- دفعته إلا الاستعانة بأبيات من التراث الشعري القديم وتضمينها في شعره ومزجه به لتحقيق الإمتاع الفني، وإضفاء الصدق والأصالة على شعره، وفي هذا ما ينم عن عقليته الواعية، وحافظته القوية، والأمثلة على ذلك كثيرة(١).

**ج- الشخصية التراثية**

يلجأ الشاعر إلى استدعاء شخصية معينة من التراث لأنها تناسب الفكرة التي يعالجها في شعره، أو ترتبط بها من جانب معين، فتوضح الصورة وتثريها، وتعمقها، وتنمّيها، وتضفي عليها إيحاءات، وتضيف إليها دلالات تبرزها وتجليها للقارئ.

إن استدعاء الشخصية بما هو معروف عنها وبما تنطوي عليه من خصلة معلومة، أو موقف معين، أو واقعة مشهورة للموقف الذي يعالجه الكاتب، أو للصورة التي يريد أن ينقلها للقارئ - يضفي على الصورة نوعا من الأصالة الفنية، ولونا من الكلية والشمول والتحرر من الجزئية، حيث تتخطى حواجز الزمن فيمتزج في إطارها الماضي والحاضر في وحدة شاملة، كذلك له أثره الواضح في تأدية المعنى المراد، وتعميق الصورة، وإضفاء صبغة من الصدق والواقعية عليها(٢).

---

(١) انظر- على سبيل المثال- نماذج أخرى للتناص الشعري: الأعمال الكاملة: ٥٧٤/١، ٥٧٥، ٥٧٧، ٥٨٠، ٢١/٢، أرقني الشوق إلى العادلين: ص ٧١، ٨١، ٨٢، وغير ذلك.

(٢) انظر: استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر: ص١٦، ١٧.

وقد جاءت الشخصية التراثية رافدا مهما اتكأ عليه الشاعر في تعميق المعنى والتأكيد عليه، لا سيما عند توظيفها توظيفا فنيا يتلاءم مع السياق ويتناسب مع المعنى، ومن ثم "يجب أن ينظر إلى نجاح التوظيف أو فشله فنيا من خلال رصد مدى نجاح اندماج الشخصية التراثية داخل بنية النص، ومقدار مساهمتها في تعميق دلالته" (١).

ونماذج استعانة الشاعر بالشخصية التراثية في تصويره كثيرة ومن ذلك قوله:

**تبت يدا وحشي وعدت رميا بالقسي**
**لقـــــاتلي طفـــــل الحجـــــر**
**وصانعي القربـــان مـــن دم الشـــهيد**
**وعـــدت جحـــر الصـــل والمرتـــد**
**تبـــــت يـــــدا مســـــيلمة**
**تبت سجاح بـــدلت إهابهـــا أفعـــى**
**ويحـــــك يـــــا عـــــراق**
**يـــا أيهـــا البحـــر الشـــقي(٢).**

ينعى الشاعر بدافع من وطنيته وانتمائه لأمته العربية وإخوانه في العروبة قتل الأطفال وتشريدهم، ويرجم هؤلاء المستبدين المستعمرين بشعره ويقذفهم بكلماته التي تنزل عليهم كاللعنات، وقد استعان بشخصيات من التراث تاريخها

(١) أشكال التناص الشعري دراسة في توظيف الشخصية التراثية د/ أحمد مجاهد ص ٨، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م.

(٢) الأعمال الكاملة: ٥٠٨/٢.

ملوث بالدماء والكذب والنفاق، فوحشي الفاجر هو الذي رمى حمزة بن عبد المطلب برمحه فقضى عليه ظلما وعدوانا، وهكذا هي قوى الاستعمار العاتية تقتل العرب وتشرد أطفالهم ظلما وعدوانا.

وشخصيتا مسيلمة الكذاب وسجاح تكشف عن كذب هذه القوى الاستعمارية وافتراءاتها، فهي تدعي رعايتها للسلام والديمقراطية والمحافظة على حقوق الإنسان وهم قتلة الإنسان، وأس الفساد، ورأس الأفعى، لا عهد لهم ولا ميثاق، يقولون مالا يفعلون، ويخدعون العالم بالأحاديث التليفزيونية المجة، والتقارير الإخبارية الكاذبة ليظهروا بجلد غير جلدهم، ظاهره في الرحمة، وباطنه فيه العذاب والجحيم المستعر.

وقد استطاع الشاعر باستدعائه هذه الشخصيات أن يوضح الصورة ويبرزها للمتلقي، ويقوي الفكرة ويرسخها في ذهنه، وينقل إليه مدى بشاعة فعل المستعمر، وتماديه في الكذب والنفاق وظهوره دوما بقناع يتوارى خلفه وجهه القبيح.

ومن نماذج ذلك -أيضا- قول الشاعر:

**قلبي لحن البمبوطية**
**يوم النصر**
**في ذكرى الأيام العشرة**
**يحتفلون بسحق جراد الغرب**
**وذئاب الصهيونية**
**قلبي خفْق أهازيج الرايات المنتصرة**
**فوق روابي سيناء**

في العاشـــــر مـــــن رمضـــــان
قلـــــــــبي بـــــــــردى
يتـــــــــوهج بـــــــــالحلم الآتي
يـــــوم تطهـــــر وجـــــه الجـــــولان
مـــــن أدران الموصـــــومين القتلـــــة
أيدي أحفاد الفرســـان الصـــديقين
أنصـــــار صـــــلاح الـــــدين (١).

يكشف الشاعر بدافع من وطنيته عما تمور به نفسه من بهجة بانتصار دولة الحق على دولة الظلم، بعودة الحق إلى أهله بانتصار أبناء بور سعيد البواســل وما قدموه في احتلال ١٩٥٦ من تضحيات ومواقف تشف عن وطنية وبســالة واضحة.

وقلب الشاعر المشحون بالوطنية وحب الوطن، جعله يستعيد ذكرى نصــر أكتوبر المجيد، يوم استطاع المارد المصري أن يزيح عار الاحــتلال، ويقتــل الأمل في نفوس بني صهيون الذين دنسوا أرض سيناء أن تطأها أقدامهم مــرة أخرى، كما يتمنى تطهير الجولان السورية من دنس المحتل الغاصــب، وأدران قتلة الإنسانية.

(١) على سلم من هشيم الرياح ص ١٦٠، ١٦١، البمبوطية: في بور سعيد حيــث تلتقــي بلادنا بالعالم عبر القناة تعيش فئة البمبوطية على بيع التحف والسلع في قواربها الصــغيرة إلى ركاب السفن في أثناء رسوها، وقد سجل هؤلاء الأبناء فــي معركــة الســويس أروع صفحات التضحية لوطنهم والفخار لأمتهم. انظر: الأعمال الكاملة ١/١٧١.

وهو في هذا كله يستدعي شخصية صلاح الدين ذات الإيحاء الديني والبعد التاريخي، فتوظيف الشاعر لهذه الشخصية يوحي بما تعانيه الأمة الإسلامية اليوم من الذل والعار والهوان بسبب استيلاء بني صهيون على المسجد الأقصى، واحتلال قوى الاستعمار بلاد العرب والمسلمين في فلسطين، والعراق، وسوريا، ولبنان، وقد وظف الشاعر شخصية صلاح الدين في أكثر من صورة ليدل على المجد والعزة، وحاجة المسلمين إلى قائد مثله ليحرر الأقصى من أيدي اليهود الغاصبين(١).

إن الشخصية المستدعاة من شأنها أن تُضفي على المعنى ثراء، وعلى الفكرة عُمقًا وأصالة، وعلى تصوير الكاتب نوعًا من الصدق والواقعية، كما تعكس ثقافة الشاعر وسعة اطلاعه على التراث.

إن حسن فتح الباب برزت في شعره ظواهر أسلوبية عدة كالاستفهام، والتكرار، والبناء الدرامي، والتناص، وقد استطاع أن يطوع هذه الظواهر للكشف عما يكنه في نفسه، وتمور به مشاعره نحو وطنه وأمته، ويعمق تجربته ويثريها، ويرسخ الفكرة وينميها، ويشف عن براعة الشاعر وثقافته، ويجذب المتلقي ويشد انتباهه، ويحقق لشعره الإقناع والإمتاع.

(١) انظر على سبيل المثال: الأعمال الكاملة ١/ ٢٦٧، ٤٢٦.

# الفصل الخامس: الصورة الشعرية

## مدخل: الصورة وأهميتها:

تتجلى قدرة الشاعر في إبداعه الصورة الفنية التي تكشف عن تجربته وتثريها، وتعبر عن إحساسه ومشاعره في صورة ممتعة، ينقل من خلالها ما يجيش في صدره للمتلقي حتى يشاركه معه ويشعر بما يشعر به فيتفاعل معه، وينفعل بتجربته، ويشاركه آماله وآلامه.

والصورة الشعرية هي الإطار الذي يحتوي الألفاظ والعبارات ويجمع بينها في تواؤم وتلاؤم، وهي التي تلف الفكرة وتظلل المعنى، إذ يعبر الأديب من خلالها عن تجربته الشعرية، فهي "وسيلة لنقل الشعور أو الفكرة"(١).

وللصورة الشعرية مكونات وعناصر تتشكل منها وتتآزر جميعها لتنتج في النهاية المعاني المتآلفة التي تثري الفكر، وتمتع الإحساس، فهي "لا تخرج إلى حيز الوجود إلا من خلال تجربة مرت بالأديب، تحرك بها وجدانه، ومارت بها عواطفه، ففارت تلك التجربة حتى تجاوزت حدود الشعور الداخلي، فانتقلت في صور شتى لتعبر حاجز الشعور إلى الإحساس، لتعبر عن مكنون النفس وخلجات الفؤاد، وقد اصطنع لها الأديب سياقا بيانيا خاصا قوامه الألفاظ، والتراكيب، والإيقاع الموسيقي، والرمز الإيحائي الذي يتولد عن الألفاظ والعبارات، وكل ما يدخل المعجم الشعري من استخدام الحقيقة والمجاز، وأدوات النداء، والاستفهام، وتردد العبارات بين الجمل الفعلية والاسمية،

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية: ص ١٣٥.

واستخدام الصورة للفعل ماضيا أو مضارعا، وحسن التعليل، أو التخلص، أو التقسيم، وما يزين الصورة من محسنات بديعية"([1]).

يضاف إلى ذلك حسن اختيار الشاعر للغة الشعرية التي تمتلك القدرة على الإيحاء والتأثير، وتتسم بالإيقاعية الموسيقية، والظلال والدلالات المعنوية، والإيحاءات الفياضة التي تثري المعنى([2]).

إن أهمية الصورة تتجلى في تجسيد المعنويات، وتقريب المعنى وتوضيحه، وتمكينه في ذهن المتلقي، فضلا عن التأثير القوي فيه، وهي – في هذا الضوء– تعد ركنا أصيلا في أركان العملية الشعرية، إن لم تكن هي جوهرها، حيث يقوم عليها الشعر منذ لحظة وجوده حتى الآن([3]).

وهي تمنح العمل الأدبي قيمة فوق قيمته، وتخلق اللغة خلقا جديدا، وتبعث في النص الحيوية والإثارة، وتفرض على المتلقي الانتباه واليقظة، وتضفي على العمل الأدبي المتعة الفنية.

إن الشاعر إذا أراد أن يترجم عن أفكاره ومعانيه وتجاربه، وما يجول في خاطره – عليه أن يلجأ إلى الصورة، فهي وسيلته للتعبير عن أفكاره، وتجسيد مشاعره وأحاسيسه، وكلما كان صادقا في تجربته كان أقرب للإقناع. وفي الصفحات التالية أعرض للوسائل التي أعانت الشاعر في تشكيل صوره، وأنماط هذه الصور.

---

(١) من صحائف النقد الأدبي: د/ عبد الوارث عبد المنعم الحداد ص ٢٨٣، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤١٠هـ– ١٩٨٩م.

(٢) انظر: محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة: د/ صابر عبد الدايم ص ٢٠٥، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م.

(٣) انظر: فن الشعر: د/إحسان عباس ص ١٩٣، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.

## أولا: الصورة البيانية

لجأ الشاعر إلى التصوير البياني الذي يعتمد التشبيه والاستعارة والكناية، وقد احتل هذا التصوير مكانا واضحا في تصويره، إذ اعتمد عليه لإبراز أفكاره ومعانيه، والتعبير عن مشاعره الوطنية تجاه وطنه، والكشف عن تجربته.

### ١ـ التشبيه

هو من الوسائل الفنية المهمة في تشكيل الصورة وتكوينها، ونقل المشاعر والتعبير عنها، لذا اعتمد عليه الشاعر في رسم صوره وتشكيلها، والتأكيد عليها وإبرازها، وترجمة مشاعره، ونقل تجربته الشعرية.

والتشبيه وسيلة بيانية تقرب المعنى وتزيده وضوحا، وتكسبه تأكيدا، "ولهذا أطبق جميع المتكلمين العرب والعجم عليه، ولم يستغن أحد منهم عنه"(١). ومما يدل على أهمية التشبيه استعمال القرآن الكريم له- وهو المثل الأعلى في بلاغة الأسلوب، وروعة البيان، وحسن التصوير- واعتماده عليه في ضرب الأمثال، ومخاطبة الناس، وتقريب المعاني البعيدة(٢).

وقد استخدمه الشاعر كثيرا في شعره الوطني واعتمد عليه في تقريب الصورة وإبرازها للمتلقي، ومن نماذجه التشبه قول الشاعر يتغنى بشجاعة عبد الناصر وفضله على مصر، إذ أفاض نهر النيل بالمياه بعد بناء السد العالي،

---

(١) كتاب الصناعتين – الكتابة والشعر –: أبو هلال العسكري، تحقيق: د /علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم ص ٢٤٣ عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ – ١٩٥٢م.

(٢) انظر: التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني: د/ عبد الفتاح عثمان، ص ٨٠، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٩٣م.

وأصبحت قناة السويس مصرية يعود خيرها للمصـــرين بعـــد أن أممهـــا مـــن الانجليز وجعلها ملكا للمصريين. يقول من قصيدة (فارس الأمل):

يـــــــا ناصـــــــــر العنـــــــاه
يا قاهر الطغـــاة بالســـواعد الشـــداد
تفجـــــرت مـــــن شـــــعبك المجيـــــد
النهر باسمك الحبيب فـــاض للجمـــوع
ورسمك الوضيء في الديار عودة الربيـــع
يـــــا حلـــــم الأجـــــداد مـــــن قـــــدم
يـــــا واهـــــب الحيـــــاة للقنـــــاة
تفـــــــديك أمـــــــة العـــــــرب..
يـــــــا فـــــــارس الأمـــــــل (١)

إن هذا البطل يقهر الطغاة بسواعد شعب مصر المجيد، وجنوده البواســل، وقد وجه قلوب المصريين نحوه وجعلوهم يتغنون به ويفيضون بذكره بعـــد مـــا استطاع أن ينتزع قناة السويس من يد الانجليز، ويحرر مصر من أسر العبودية للأجنبي المحتل الذي كان يتحكم في المصريين مهددا بالوعيد، وملوحا بالتهديد. وقول الشاعر: (ورسمك الوضيء في الديار عـــودة الربيـــع) تشـــبيه جميـــل، فالشاعر يرى في عبد الناصر الربيع الذي يأتي على الدنيا فينشر فيهـــا بـــذور الخير، والبهجة والأمل، وهو الفارس الذي يحقق آمال المصريين، والقائد الـــذي يحمل لهم الخير والنصر.

ومن نماذج التشبيه – أيضا– قول الشاعر من قصيدة (راعيان من حلب):

(١) الأعمال الكاملة: ٣٧/١.

يا ساري المساء تحت غيمة ونجم
إن السماء يا رفيق قـــاع نـــار
ونســـــمة الشـــــمال ريـــــح دم
على مشارف الدروب قاع نار
وفي مسارب الطيـــور ريـــح دم
لا تفرشـــوا طـــريقكم أزهـــار
يا أيها السمار، يـــا عـــرب(١).

ينعى الشاعر الحشود الاستعمارية التي تجمعت حول سوريا تريد اغتصاب أرضها، والسيطرة عليها ونهب خيراتها وثرواتها، والشاعر يشبه السماء بقـــاع النار الذي انتشرت النار فيه حتى توهجت، وهو يوحي بشدة الحروب المشـــتعلة وضراوتها واستمرارها، كما شبه النسمة بريح الدم وهو تشبيه يكشف عن كثرة القتلى وانتشارهم في أنحاء سوريا، حتى غطت ريح الدم على هبات النسيم.

كما يكشف التشبيه عن مدى بشاعة هذا العدو الغاصب الذي أكثـــر القتـــل حتى صارت شوارع سوريا أنهارا من دم، وتحولت السماء إلى غيمة بلون الدم الأحمر القاني.

**٢ـ الاستعارة**

وسيلة أخرى من وسائل تشكيل الصورة، تخرج فيها الألفاظ عن دلالاتهـــا المعجمية أو الوضعية إلى دلالات إيحائية جديدة، تكسب النص قـــوة وفعاليـــة، وهي أداة فنية تبرز أغراض الفكرة المطلوبة، وتكشف عن الجانب الفني الـــذي ينقله الشاعر إلى المتلقي.

(١) الأعمال الكاملة: ١/ ١٩٢.

إن الاستعارة تبرز المعاني في صورة حية نابضة، وتتسم بقدرتها على تصوير الأحاسيس والتعبير عن ما يختلج في النفس بما لا يستطيع التعبير الحقيقي أن يقوم به، ونماذجها كثيرة، ومن ذلك قول الشاعر من قصيدة (أطفال بحر البقر):

**يـــــا ويـــــل الآبـــــاء**
**الأجنحة البيض تناجي الغيمات**
**تضحك للشمس تضيء الآفاق**
**تعدو خلف رياح الغابات**
**لكن على الوديان الخضر**
**أفعى تجتاح صغار الطير**
**تلتهم الدم**
**تزحف في قاع الظلمات**
**ويُعزف لحن النصر يحيي الأبطالا**
**يشجينا أنا**
**ما زلنا أحياء**
**لكن سنظل ويا للحسرة أطفالا([1]).**

ينعى الشاعر أطفال مدرسة بحر البقر في قصيدة تقطر دما وتفيض ألما حزنا على هذه البراعم المخضرة التي جفت أوراقها قبل أوانها، وهذه الزهور التي قطفت قسرا قبل نضوجها، وقد استعار الشاعر للأطفال الشهداء الأجنحة

(١) الأعمال الكاملة: ٤٣٧/١، ٤٣٨.

البيض وجعلهم كالملائكة تناجي الغيمات، كما شخص الغيمات وجعلها شخصا يناجي ويتكلم، وهي تضحك للشمس، كما أنها تعدو خلف رياح الغابات، وفي هذا التشخيص ما يبعث في النص الحياة، ويضفي عليه الحركة والحيوية.

كما استعار الشاعر لفظة (الأفعى) لبني صهيون، فهي (تجتاح، وتلتهم، وتزحف)، إنهم يتحينون الفرصة لبث سمومهم في تلك البراعم الخضر في عمر الزهور لوأدها قبل نضوجها ما استطاعوا لذلك سبيلا.

هذه الاستعارة تكشف عن خسة ونذالة وجبن العدو الصهيوني الذي يقتل الأطفال الصغار دون ذنب اقترفوه، كما تشف عن قلة حيلته إذ لم يجد أمامه إلا قتل البراءة.

كما توحي هذه الاستعارة بعمق مأساة الشاعر وحزنه الشديد، وتألمه الواضح على هذه المذبحة التي تدمي الفؤاد، ويأسى لها قلب الشجاع، وستظل هذه الكلمات شهادة على خسة ونذالة العدو الصهيوني الذي استباح قتل البراءة، قتل الأطفال الصغار.

ومن ذلك نماذج الاستعارة – أيضا– قول الشاعر من قصيدة: (أغنية انتصار إلى العراق):

**ما أروع أيام النصر**

**تهدر شلالا من دم**

**تثأر من وحش أبكم**

**يذبح طفلا**

**يغصب عذراء حرة**

أحـــــــلام الأم([1]).

إن قوى الاستعمار الغاشم مدت ذراعيها في أرض العراق بالبطش والقتـــل والتخريب، وراحت تذبح الأطفال وتقتل الأبرياء، وتغتصب الحرائـــر، وتشـــعل الفتن، حتى كثرت الدماء في أرض العراق، وانطفأت شعلة الأحلام.

وقد استعار الشاعر للدلالة على كثرة الدماء كلمة (شلالا)، وهي تشف عن كثرة القتلى والدماء المراقة في أرض العراق، كما استعار للقوى الاســـتعمارية عبارة (الوحش الأبكم) وهي تكشف عن وحشيته المستعمر وبشاعة فعلـــه، فقـــد أشاع القتل والتشريد، وأباح النهب والتخريب، ولم يستمع إلى صوت الحق، ولم يتوان في اغتصاب العفيفات، وقتل الأطفال والنساء والشـــيوخ، وتبديـــد الحلـــم والأمل في نفوسهم، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

### ٣ـ الكناية

كما اعتمد شاعرنا على التصوير من طريق التشـــبيه والاســـتعارة كـــذلك اعتمد على التصوير من طريق الكناية، فهي وسيلة مهمة من وسائل التصـــوير، ولون بديع من ألوان الخيال، ولها دورها البيّن في الكشف عن تجربة الشـــاعر وما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس لا يستطيع التعبير عنها صراحة، كما لها دورها البارز في التأثير في المتلقي.

والكناية" تفيد الألفاظ جمالا، وتكسب المعاني ديباجـــة وكمـــالا، وتحـــرك النفوس إلى عملها، وتدعو القلوب إلى فهمها، فإن أوقعتها في المدح كانت أرفع وأحسن، وفي نفس الممدوح أوقع وأمكن، وإن صدرتها للذم كانت آلم وأوجـــع، وإلى ذكر فضائح المذموم أسرع وأخضع...." ([2]).

---

(١) الأعمال الكاملة: ١٨٨/١، ١٨٩.

(٢) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بـــن حمـــزة العلـــوي ٤٣٤/١، ٤٣٥، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـــ- ١٩٨٠م.

ومن نماذج الكنايات البليغة التي يرمز بها الشاعر للسلام والانتفاضة ويحلم بها لينال شعب فلسطين الحرية قوله من قصيدة الحب والموت إلى البطل الفدائي في الأرض المحتلة:

**فلتسقط الأمطار**

**ويبتلع ذئابه الطوفان**

**ولترقب النساء مطلع الفجر**

**على أسارير الصغار**

**لم يبق غير ساعة**

**ويهبط الربان**

**يصرخ قلبه اللهيف يا مدينتي**

**يا أملي.. أغنيتي.. حريتي**

**فدى لك الحياة**

**لك السلام(١).**

كني الشاعر (بسقوط بالأمطار)، لسقوط دولة الظلم وعودة الحق المسلوب، وذلك لا يكون إلا بالنضال والجهاد والمقاومة للحصول على الحرية والاستقلال.

كما يرمز لاندحار دولة الباطل والظلم، بـ (الطوفان) الذي يلتهم كل ما يقع في طريقه، والذئاب هم تلك الأذناب الذي يلعب بهم المستعمر (الطوفان) ويجعلهم أداته لتشتيت العرب وبث الفرقة بينهم.

---

(١) الأعمال الكاملة: ٣٧٧/١.

والشاعر يحلم بالخلاص، ويحدوه الأمل في الحرية والاستقلال، وانتفاضة المارد الفلسطيني ليصد كيد المعتدين، ويأخذ بالثأر من المحتل المغتصب، ويقوم البطل المناضل الفدائي في الأرض المحتلة الذي يرمز له الشاعر بقوله: (ويهبط الربان) يقاوم يدافع عن وطنه وأرضه وعرضه، ليسترد الحرية المسلوبة، والكرامة المهدرة، ويثأر للظلم والبغي والعدوان وقتل الأطفال وتشريدهم، ويناضل من أجل تحقيق الأمل: وطنه وحريته، أغنيته التي يغنيها ويلهج بها لسانه، وينبض بها قلبه، وليسقط البغاة صاغرين، ويذيق المجرمين بعض ما جنوا.

هذه الكناية تكشف عن حلم الشاعر بالخلاص من ظلم المستعمر، والأمل في الحرية والاستقلال واستيقاظ الشعوب العربية، واسترداد الكرامة المسلوبة، والأخذ بالثار من المحتل الغاصب، وطرد القوى الاستعمارية والقضاء عليها.
كما تشف عما تكنه نفس الشاعر من وطنية غالبة عليه وأماني وأحلام تغلف قلبه، فهو يتمنى أن يأتي هذا اليوم الذي يستعيد فيه الشعب الفلسطيني كرامته وأرضه ويأخذ بثأره من بني صهيون.

ومن نماذج الكناية – أيضا– قول الشاعر من قصيدة (للذين أتوا بعدنا أغني) الذي يشف عن استيائه من السلام مع قوى الاستعمار:

**يوم أغرى المهرج كهَّانه بسلام القبور**
**فاستوى فوق رمح العبور**
**ثم أدى صلاة الفدا لولي الجحيم**
**مغمدا في الدم المستجير صراخ الضحية**

وفـــــــــروض المجـــــــــون[1].

يكشف الشاعر عن تألمه من السلام مع قوى البغي والعدوان الذين راحـوا يقتلون ويشردون الأطفال، ويستبيحون الأعراض، ويدنسون الأقصى بأقـدامهم، ويسعون في الأرض فسادا، فلا إنسانية تردهم، ولا ضميرا حيا يوقظهم.

وقد كنى الشاعر عن هذا السلام (بسلام القبور)، فالسلام مع هؤلاء البغـاة الطغاة هو سلام القتل، والموت، والتشريد، والبغي والعدوان، وتمريـر ورضـا عما يفعلونه بالشعوب العربية من قتل، ونهب، وتشريد، وتجريـف للأراضـي العربية، واعتداء على المقدسات.

هذه الكناية تشف عن عدم رضا الشاعر عن السلام مع بني صهيون، وأن السلام مع تلك القوى الاستعمارية هو سلام الخزي، والعار، والمذلة، وطأطـأة الرأس لقوم هم أبعد أن يتصفوا بالبشرية.

### ٤ـ التشخيص

ظاهرة فنية لها دورها المؤثر في عرض الصورة عرضـاً يملؤهـا حيـاة وحيوية، حيث تصير الجمادات أشخاصاً ماثلة للعيان، فنراها تتحرك، وتظهـر، وتختفي، وتذهب، وتجيء، وعناصر الطبيعة الصامتة تنطق، وتحس، وتفكـر، وتغدو، وتروح،.... !.

وقد اعتمد عليه الشاعر لما له من أثر واضح في إبراز المعنـى وترسـيخ الفكرة، فهو "يبعث في الفكرة حركة نابضة، وتسري فـي الخـاطرة الألـوان الشاخصة، والأشكال الإنسانية، وتلتهب المواد في الطبيعة بالعواطف البشـرية، وتفيض مظاهر الحياة بالوجدان المتدفق، والانفعال القوي، ويصير غير الأحياء

(١) الأعمال الكاملة: ٢/١٥٤.

من الناس أناسا يتعاطفون ويتجاوبون، ويعشقون ويحبون، وبذاك تتحد مظاهر الحياة في طيات سر الوجود"([1]).

من النماذج التي يظهر فيها اعتماد الشاعر على التشخيص في رسم الصورة قوله مشخصا ميدان التحرير الذي يرمز به لمصر:

**أنـــا.. مـــن أنـــا؟!**
**لســـت إلا فـــتى**
**رأى شعبه يستباح جهارا نهارا**
**يعيـــث بـــه المفســـدون**
**ويودَعُ أحراره في الســجون**
**فأقسمَ أن يـــوقظ الغـــافلين**
**ولو جاد بـــالروح أو عينـــهِ**
**برصـــــاص الطغـــــاة**
**وحطم أغلاله كـــي يســـود**
**ويرفـــع رايتـــه كـــي يحلـــق**
**فـــــوق الأفـــــق... ([2]).**

بنى الشاعر قصيدته على التشخيص، فشخص هذا الميدان الـذي انطلقـت منه ثورة الخامس والعشرين من يناير، وجعله فتى أبيًّا، فهو يناضل مـن أجـل

(١) البناء الفني للصورة الأدبية للشعر: د/ علي علي صبح، ص ١٨٧، المكتبة الأزهرية، القاهرة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

(٢) أرقني الشوق إلى العادلين: شعر حسن فتح الباب ص ٧٨.

شعبه، وأقسم أن يوقظ الغافلين، ويثير الوطنية في قلوب الأحرار، ويحطم الأغلال، ويرفع رايته كي تحلق في سماء الحرية.

ويمضي الشاعر في قصيدته جاعلا من ميدان التحرير شخصا ثائرا، يشتعل بالوطنية، فهو (يشدو، ويُلهِم، وينقذ، ويروي مصر بدمه، ويضحي بنفسه)، وهو ابن الأبطال من أبناء مصر(عرابي، وكامل، وفريد، وسعد، وعبد الناصر)، وهو رمز الثورة، ورمز مصر،.....الخ.

هذا التشخيص قد أضفى على المعنى العمق والوضوح، وعلى الفكرة القوة والرسوخ، وعلى الصورة الحركة والحيوية، والإثارة والمتعة الفنية، كما أنه أيقظ المتلقي، وجعله يتفاعل مع الشاعر، ويشاركه تجربته.

**٥ـ التجسيد**

التجسيد من الوسائل المهمة في التصوير، وهو يقوم علي تجسيد المعاني، وتحويل الشيء المجرد إلي صورة منظورة وعوالم مرئية مشاهدة للعيان ، بحيث تبدو في هيئة مادية مدركة بإحدى الحواس، بغية توصيل المعني إلى ذهن القارئ.

وهو من الوسائل المهمة التي اتكأ عليها الشاعر في تصويره، فـ "التجسيد للمعاني أدعي لتأكيدها ورسوخها في النفس ، لما هو معلوم من ائتناس النفس بالمحسوس ، ووثوقها به أكثر من المعنوي المجرد "(١)، ونماذجه كثيرة؛ ونكتفي بنموذج واحد هو قول الشاعر من قصيدة العالم والحرية:

**يا للفرحة تحتضن الكون**

**أنفاسا تتهدج**

(١) التعبير البياني رؤية بلاغة نقدية: د/ شفيع السيد ، ص١٣٣ ، ط دار الصفا ١٤٠٢ هـ ـ ١٩٨٣م.

تاريخـــــــــا يتـــــــــوهج
لم تغمـــــض في ليلتـــــه عـــــين
لم يســـــكن في دوحتـــــه طـــــير
الكـــــون جميـــــل مـــــا أحلـــــى
فليصعد فـــوق القمـــة فجـــر
وليتـــــــــــدفق نهـــــــــــر
الكـــــون جميـــــل مـــــا أحلـــــى
لكـــــــن عشـــــــاق الحريـــــــة
ما زالوا يغشون الظلمـــات(١).

اعتمد الشاعر في هذه الصورة على التجسيد، فعبر عن المعني المجرد في قالب محسوس، فجسد الفرحة وجعلها إنسانا يحتضن الكون، كما جسد الشـــاعر الأنفاس وجعلها إنسانا يتهدج، والتاريخ يتوهج كالنار.

هذا التجسيد يوحي بالأمل بالخلاص المتوهج في قلب الشاعر، والاستبشار ببزوغ فجر الحرية، والحلم بالاستقلال والفرحة التي تعم الكون لانتشار العـــدل، وانحسار الظلم، واستيقاظ الضمير الذي يرعى الإنسانية ويحافظ على حقوقها.

وهكذا يرتقي التشخيص، وينهض التجسيد "بالصورة التي يرسمها فيمنحهـــا الحياة الشاخصة، أو الحركة المتجددة، فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركـــة، وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد، وإذا النموذج الإنساني شاخص حي، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية"(٢).

---

(١) الأعمال الكاملة ٢٠٣/١.

(٢) التصوير الفني في القرآن: أ / سيد قطب، ص ٣٢، دار الشـــروق، القـــاهرة، الثامنـــة ١٤٠٣هـــ- ١٩٨٣م.

ولعل في التمثيل بالنماذج السابقة – إذ يتعذر الإحاطة والاستطراد– ما يغني في الدلالة على استخدام الشاعر للتصوير البياني، في تصوير مشاعره، والتعبير عن خواطره، والكشف عما يجيش في صدره نحو وطنه وأمته العربية.

## ثانيا: الصورة الحركية

الشاعر في رسم صورته يعرض تجربته الشعرية، ويعبر عما يدور في نفسه، وما تهيج به عواطفه، ما بين حركة وسكون، وظلال وأضواء، وإيحاءات ودلالات مختلفة، وتكمن قدرة الشاعر في نقل تجربته الشعرية والتعبير عن إحساسه ومشاعره في صورة نابضة، تتسم بالحيوية، بحيث تقنع المتلقي فيشعر بما بشعر به الشاعر، ومن ثم يتفاعل معه وينفعل بتجربته، بما يحقق الإمتاع والإقناع في آن.

والحركة من العناصر المهمة في التصوير، ولها تأثيرها الواضح في نفس المتلقي، وفي إثارة مشاعره، وتفاعله مع الشاعر، وقد شاعت الصورة الحركية في تصوير الشاعر بما يضفي على تصويره الإثارة والحيوية، ويحقق الوضوح والمتعة الفنية. ومن النماذج التي بدت فيها الحركة واضحة قول الشاعر معبرا عن حبه لوطنه:

**إنا نعرف كيف نخوض بحار النار**
**في حـــــــب الأوطـــــــان**
**نعرف كيف نحيل القلب الدافق بالحب**
**قنبلة.. لغما للأقدام الموصومة باللعنة**
**نعـــــرف في ســـــاعات المحنـــــة**

كيف نحيل الأشجار صفوفا من فرسان
ورياحـــا تـــذرو صـــرح الإفـــك
تســـقط أســـراب الغربـــان(١).

إن صيحات الشاعر تعلو في عزيمة وشموخ بحبه لوطنه، وهو يتكلم بلسان الجندي المصري الذي يتحول إلى قنبلة ملغومة لو أصاب وطنـــه مكـــروه، أو اقتربت منه يد باغية تريد النيل من عزته وكرامته.

والمتأمل الكلمات (نخوض، نحيل، الدافق، قنبلة، لغم، الأقـــدام، الأشـــجار، فرسان، رياح، تذرو، تسقط، أسراب الغربان) يجد أنها تتسم بالحركة الســـريعة المتتابعة، وهي تكشف عن بسالة الجندي المصـــري وشـــجاعته أمـــام قـــوى المستعمر ووقوفه في وجه الظلم والعدوان، وفي سبيل الدفاع عن وطنه، فهـــو يخوض بحار النار، ويفجر براكين الغضب إن مُست كرامته، أو سُلبت حريته. وقد تحقق لهذه الصورة الحركية ما يثريها وينميها، ويجعلها حافلـــة بالحركـــة والظلال، فبدا عنصر (الصوت) واضحا في الكلمـــات (قنبلـــة، لغـــم، الـــدافق، فرسان، رياح، تذرو)، كما بدا عنصر (الضوء) في كلمة (قنبلة، النـــار)، وبـــدا عنصر اللون في الكلمات: (النار، الأشجار، الغربان).

هذه الكلمات تكشف عن حركة شديدة متتابعة، وتشف عن شجاعة الجنـــدي المصري وإصراره على الحفاظ على وطنه، ودفاعه المستميت عنه، ومجابهـــة قوى الاستعمار الباغية التي تسعى للنيل منه، كما تشف عـــن وطنيـــة عارمـــة سيطرت على الشاعر، وتمخضت عنها تلك الكلمات القوية التي تكشف عن حبه لوطنه.

(١) الأعمال الكاملة: ٣٨١/١.

وتحقق هذه العناصر في الصورة مما ينميها ويزيدها وضوحا، ويجعلها تعج بالحياة، وتحفل بالحركة، وهو مما يرسخ الفكرة، ويبرز المعنى، ويعين القارئ على استيعاب الصورة.

ومن نماذج الصورة الحركية أيضا قول الشاعر يغني للانتفاضة الباسلة التي قام بها أبناء فلسطين البررة للأخذ بالثأر لقتل الأطفال، وسلب الحريات، والدفاع المستميت عن الأرض والعرض، والوقوف في وجه العدو الصهيوني المحتل المغتصب، يقول:

**إن هي إلا رجفة**
**حتى دوى بركان**
**زلزال.. رعد**
**عاصفة في غزة**
**ليقوم الشهداء**
**ويكون قصاص**
**للعصفور الشادي الأزغب(١).**

لقد انفجر بركان الثورة على المحتل، وهبت عاصفة الانتفاضة، ودوى صوت النضال في قلوب الفلسطينيين للأخذ بالثأر ورد الكرامة، واسترداد الحرية المسلوبة، وعودة الحق للشهيد.

**والمتأمل الكلمات:** (رجفة، دوى، بركان، زلزال، رعد، عاصفة، ليقوم، قصاص) يجد أنها كلمات ثائرة تتسم بالحركة، وهي حركة شديدة متتابعة نابعة من الإحساس بالظلم وبطش المستعمر، فهي انتفاضة مشروعة تهدف إلى الثأر

(١) على سلم من هشيم الرياح: ص٨٥، ٨٦.

واسترداد الحق المسلوب، وتكشف عن ثورة عارمة في قلب المناضل الفلسطيني الذي هبّ للأخذ بالثار من العدو الصهيوني المحتل.

كما أشعر بحركة تزلزل قلب الشاعر وهو يكتب هذه الكلمات ليعبر عما انتابه تجاه قتل الأطفال والشعب الفلسطيني، وفي هذا ما يشف عن إحساس وطني متعمق في قلب الرجل تجاه أمته العربية وبغض شديد متمكن منه ومسيطر عليه للمحتل والغاصب للأرض والعرض بصفة عامة، وبني صهيون بصفة خاصة.

إن تصوير الشاعر لحالته النفسية جد واضح من خلال هذه الصورة الجامعة، التي ماجت بالحركة، فجاءت تنبض بالحيوية، تشد انتباه المتلقي وتؤثر فيه، محققة للإقناع والإمتاع.

وقد بدا (عنصر الصوت) واضحا في هذه الصورة من خلال الكلمات: (رجفة، دوّى، بركان، زلزال، رعد، عاصفة) وهو صوت قوي صاخب، يقرع الآذان، ويصدع القلوب، وينمي الصورة ويثريها، ويضفي عليها الإثارة والحركة والحيوية ويجذب القاري ويلفت انتباهه.

كما يكشف عن ثورة عارمة في قلب الشاعر تحرضه على النضال بشعره لأجل فلسطين، والمقاومة حتى تندحر دولة بني صهيون من أرض العرب، وينال الشعب الفلسطيني حريته واستقلاله.

هذه الصورة تدل على أن شاعرنا اعتمد الحركة في تصويره، وأدرك الدور الفعَّال الذي تلعبه في تشكيل الصورة ورسمها، وإبراز الفكرة وتوضيحها، والأثر النفسي الذي تحدثه في نفس المتلقي، مما كان له أكبر الأثر في إقناعه وإمتاعه.

إن الحركة في الصورة تثير الألفاظ فتحس أنها تتحرك، وتبعث في النص حركة وحيوية ونشاطا وإثارة، وتؤثر في القارئ فتثير مشاعره وتجذبه ليتابع الصورة حتى النهاية، وتضفي على الصورة الحياة والمتعة الفنية، وتحقق لها القبول والنجاح.

## ثالثا: الصورة الرمزية

الرمز من الظواهر المهمة واللافتة في الشعر العربي الحديث، يستعين به الشاعر للبوح بما في نفسه من تجارب لا يستطيع الإفصاح عنها بالتعبير المباشر، فهو "وسيلة إيحائية من أبرز وسائل التصوير الشعرية التي ابتدعها الشاعر المعاصر عبر سعيه الدائب وراء اكتشاف وسائل تعبير لغوية، يثري بها لغته الشعرية، ويجعلها قادرة على الإيحاء بما يستعصى على التحديد والوصف من مشاعره وأحاسيسه وأبعاد رؤيته الشعرية المختلفة"(١).

وقد شاعت الصورة الرمزية وبرزت بشكل واضح في شعر حسن فتح الباب الوطني، إذ اتكأ بصورة واضحة على الرمز التراثي بالذات، فكان مصدرا مهما من المصادر الثرية لدى شاعرنا، ولا غرو فعطاء التراث لا ينفد، وإيحاءاته ودلالته لا تتوقف، ذلك أن "عناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفذ، وعلى التأثير في نفوس الجماهير ووجداناتهم ما ليس لأية معطيات أخرى يستغلها الشاعر"(٢).

من نماذج الصورة الرمزية ما جاء في قصيدة (الجذور) حيث نجد الشاعر بدافع من وطنيته وحبه لبلده يغني لنيل مصر فيقول:

---

(١) عن بناء القصيدة العربية الحديثة: د/ على عشري زايد ص ١١٨، مكتبة الشباب، القاهرة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.

(٢) السابق: ص ١٣٧.

يا شراع المساكين والماردين النسور الحمائم
يا نيل لا، لا ينل منك نسل المماليك
والمارقين غدا. لا تبعهم بثّدْيِيْكَ
لا، تكن للنفايات مبغى(١).

يدعو الشاعر للنيل بالتماسك والصلابة، وأن يحفظه الله من البغاة والفاسدين الذين يعيثون في الأرض فسادا ويسرقون خيرات هذا البلد، وهو يرمز (بالنيل) لوطنه مصر، كما يرمز للبغاة والظالمين الذين يسرقون خيرات البلاد (بنسل المماليك)، وهم كثر لا يرعون في حق بلادهم إلاً ولا ذمة، فمهما حاولت تلك الأقزام النيْل من هذا الوطن فلن يبلغون القامات العالية، ولن يدوي صوتهم، وستبقى مصر الأرض الخصيبة التي ينبت بها الغرس الطيب، وينمو فيها الحلم الناهض؛ وشاعرنا بغنائه على هذا الوتر يكشف عن حبه لمصر، ويعلن عن وطنيته الصادقة تجاه وطنه.

ومن نماذج الصورة الرمزية- أيضا- استخدام الشاعر الرمز الأسطوري، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (موت البطل)، يقول الشاعر:

عاد أوزوريس ميتا
عاد أشلاء على كل طريق
آه إيزيس التي لم تنتحب
مذ ملايين السنين
ونراك اليوم تبكين بدمع الفقراء
وتشقين جلود التعساء

(١) الأعمال الكاملة: ٢/٢٩.

ومغنيـــــــــك الحـــــــــزين

يسكب الآه على كل وتر([1]).

الشاعر في تصويره حزنه وحزن شعب مصر على مـــوت جمـــال عبـــد الناصر يستحضر أسطورة ايزيس وأوزيريس، وهي أسطورة فرعونية قديمـــة. وإيزيس شخصية بارزة في مجموعة الآلهة المصرية كان يرمز لها بامرأة على حاجب مقدمة قرص القمر، وكانت إيزيس شقيقة أوزوريـــس وزوجتـــه، وقـــد استعادت جثته بعد مقتله وأعادت إليه الحياة بعد رحيله إلى حياة جديدة محـــدودة في العالم الآخر([2]).

والشاعر يجعل من جمال عبد الناصـــر رمـــزا للمنقـــذ، والمـــدافع عـــن المضطهدين. فهو الراعي للفقراء، والمتواضع لهم، إذ لاقت شخصـــيته شـــعبية وحبا كبيرا من المصريين؛ لأنه عايش همومهم، ودافع عنهم ([3]).

وقد لجأ الشاعر إلى توظيف أسطورة ايزيس وأوزيريس من أجـــل بعـــث الأمل في نفوس أبناء الثورة التي يأمل أن تبعث من جديد، وليؤكد على أن حب ايزيس لأوزيريس كحب شعب مصر وأبنائها لعبد الناصر، ولو اســـتطاعت أن تعيده إلى الحياة مرة أخرى لأعادته حبا له واعترافا بوطنيته ومـــا أســـداه مـــن تضحيات للوطن، وتفانيه في الحفاظ عليها من المحتلين الغاصبين.

---

(١) الأعمال الكاملة ٣٥٣/١.

(٢) انظر: فجر الصمت: بريستيد، جميس هنري، ترجمة: سليم الحسن، ص ١٠٩، الهيئـــة العامة للكتاب القاهرة ٢٠٠٠م.

(٣) انظر: عبد الناصر في الشعر العربي الحديث: د/ عبـــد الله ســـرور ص ١٠، مطـــابع الفاروق، القاهرة، الرابعة ٢٠٠٢م.

وفي قوله: (يسكب الآه على كل وتر) تجسيد جميل يكشف عن حزن الشاعر العميق على موت عبد الناصر، ويشف عن حب عميق لهذا الرجل القائد الذي يعده الشاعر رمزا للوطنية والمنقذ للبلاد من أسر العبودية للمحتلين.

هذه الصورة الرمزية التي أجاد الشاعر توظيفها تكشف عن قلب ملتاع، وآهة مصدور، وفؤاد مكلوم، وحزن واضح ألمّ بالشاعر على موت هذا البطل، كما تشف عن الألم الواضح الذي خيم على مصر وشعبها عند رحيل هذا الزعيم.

وفي حديثه عن قوى الاستعمار الباغية وما تفعله بنو صهيون بحق العرب عبر الشاعر برموز تاريخية معروفة بالظلم والاستبداد، والبغي والإفساد: كعاد، والتتار، أو برموز أخرى كالأفعى، والذئاب، والغربان السوداء، وكلها ترمز إلى القتل والبغي والفساد، والغدر والخيانة(١). ومن نماذج ذلك قول الشاعر من قصيدة (والشمس تشرق من جديد):

**عـــــــــــاد التتـــــــــــار**

**نفضوا جلود ذئابهم وغدوا رعاة للبقر**

**قتلوا الهنود الحمر واستعلوا فشادوا الناطحات**

**سادوا أباطرة لعصر العولمة(٢).**

(التتار) رمز للدمار، والخراب، والقتل، وإشاعة الخوف، والتخريب والقضاء على القيم الإنسانية، والمعاني الجميلة، ورمز الشر والجريمة.

---

(١) انظر: – على سبيل المثال– الأعمال الكاملة: ١/ ١٨٩، ١٩٣، ١٩٧، ٢/٥٠٤، ٥٤٥، على سلم من هشيم الرياح ص٧٥، ٨٣، ٩١، ١٠٣، ١١١، ١١٤، وغير ذلك.

(٢) على سلم من هشيم الرياح ص١٣٦.

والشاعر هنا يرمز لدول الاستعمار الكبرى وما تفعله بالعرب (بالتتار)، هذه القوى الاستعمارية ما دخلوا بلدا إلا أفسدوها، وجعلوا عاليها سافلها، فتراها كعصف مأكول، إضافة إلى تحكم هذه القوى الاستعمارية – أحيانا– في الشعوب ومواردها الاقتصادية، وهذا ما جعل من البعض الذين اتخذهم المستعمر أداة لبطشه وإرهابه أن يصفق لبطشه وطغيانه.

كما وجدت الشاعر يكثف من الاتكاء على الرمز الديني، فاستعان بشخصيات دينية تحمل إيحاءات دينية كشخصية المسيح (عليه السلام)، وشخصية الحسين (رضي الله عنه) وشخصية مريم (عليها السلام)، وغيرها من الشخصيات .

ونماذج الرمز الديني كثيرة؛ اخترت منها هذا النموذج الذي يتكئ فيه الشاعر على شخصية الحسين (رضي الله عنه) في تصويره، ومن ذلك قوله من قصيدة (بين ماض وآت):

**ما الذي تشتهي**
**بين عامين: ماض وآت؟**
**دماء الحسين تخضب عائدة كربلاء**
**وزينب بين الثنايا تئن**
**ولا تنحني.. دمعها كبرياء**
**ولا ترضى صرخة للإماء**
**وتبكي عليها السماء**
**وتبكي صباحاتها والمساء**
**وسبط النبي على صدرها**
**تنازعه خدم الفاسقين**

وتلـــــــهو بـــــــه كالـــــــدمى
ويضـــحك ممـــا افتـــراه يزيـــد
وفي كفـــــه زرد مـــــن حديـــــد
يعبـــث بـــه في الجـــبين النضـــير
وفي مقلتي ســـيد الشـــهداء(١).

استدعى الشاعر حادثة كربلاء ليؤكد مدى التشابه بـين مـا تفعلـه قـوى الاستعمار اليوم في العراق من قتل ونهب وتشريد وسلب للخيرات والثـروات، ووأد للحريات، ومدى بشاعة هذا الفعل – وبين ما حدث للحسين (ﷺ) من ظلم وقتل بطريقة وحشية تنم عن بغض وحقد دفين، فكما كان بنو أمية الذين سـلبوا حق الحسين في الخلافة يحملون في قلوبهم ما يحملون لعَليّ- كرم الله وجهـه- وبنيه، كذلك هي قوى الاستعمار تسلب الحريات، وتكمم الأفواه، وتحمـل مـن البغض والحقد والغل لكل مسلم بل العرب جميعا، ولو استطاعت أن تبيدهم من على وجه الأرض لفعلت.

وشخصية سيد الشهداء (الحسين) سبط النبي (ﷺ) شخصية دينية ترمز إلى التضحية والاستشهاد في سبيل الحق والحرية، وإقامة العدل، ونبذ الظلم، وهـي دليل على ظلم البشر حين تآمروا عليه وقتلوه ظلما وعدوانا، وقد تبلورت كـل هذه المعاني في مخيلة الشاعر فوظفها في هذه الصورة التي تكشف عن طغيان المحتل الغاصب للأرض والعرض، وسعيه فسادا فـي أرض العـراق يقتـل، وينهب، ويشرد، ويفسد دون رادع أو وازع.

(١) على سلم من هشيم الرياح ص ٩.

وهي أيضا رمز الصراع بين الحق والباطل، فالحسين رمز لكل عربي سلب منه حقه، وتخلى عنه الناس حتى أصبح يقاتل وحيدا، لا يجد من يقف معه في قضيته ولا يسانده لاسترداد حقه المسلوب.

وشخصية زينب (رضي الله عنها) ترمز إلى الأمهات الثكالى والأرامل اللائي قتلَت أبناءهن وأزواجهن وإخوانهن يد الاستعمار الباغية، وأودت بحياتهم ظلما وعدوانا.

كما استخدم الشاعر الرمز التاريخي؛ فاستعان بشخصيات تاريخية كشخصية صلاح الدين الأيوبي التي رمز بها للقائد المسلم والمناضل الذي جاهد من أجل تحرير القدس من أيدي اليهود الغاصبين، ومن نماذج ذلك قول الشاعر من قصيدة بيت ورياح:

قَصَّت شعر الفارس أيدي صهيون
جدلت أحبالا للأطفال الجوعى
بقرت أحشاء نساء كانت تُرضع
أطفال العرب المقهورين
ويل للجبارين المهزومين
مات صلاح الدين
فليبعث ألف صلاح الدين
يطفئ جمرات الحزن الرابض في الأضلاع
ليعود طريدٌ للمجدل
يلمع في جبهته وهج الشمس
وتضيء بعينيه الربوات

وتعـــــود الرايـــــات الخضـــــر

أزهـــارا فـــوق ظـــلال الزيتـــون(١).

تكشف الأفعال ( قصت، جدلت، بقرت...الخ) عما تفعله بني صهيون فـــي أرض القدس من بغي وعدوان، وقتل، ونهب وتشريد وتجريف، فقد أوغلوا فـــي الفساد والوحشية وقتلوا الأطفال الرضع في مهدهم، وبقروا بطون النساء ووأدوا الثورة في النفوس.

**ثم يرمز الشاعر للمناضل والثائر بقوله:** (مات صلاح الدين، فليبعث ألف صلاح الدين)، فشخصية صلاح الدين رمز للجهاد، والنضال من أجل اســـترداد الحق المسلوب، وتجسيد الحلم العربي، في إعادة الكرامة العربية، وقد ارتبطت هذه الشخصية عند الناس، بل ربما في الشعر المعاصر بعامـــة كرمـــز للبطـــل الإسلامي الذي حرر المسجد الأقصى من أيدي اليهود الغاشمين، وقـــد وظفـــه الشاعر كثيرا في قصائده الوطنية للدلالة على هذا المعنى(٢).

إن استحضار الشاعر لهذه الشخصية (الرمز) يكشف عن أهميتها وحاجتنـــا الملحة إلى مثل هذه الشخصية في وقت تعاني فيـــه الأمـــة العربيـــة التشـــتت، والضياع، والانكسار، والذل والهوان، وكأن صلاح الدين هو المنقذ مما نعانيـــه الآن، وكأن الشاعر يستدعي هذا الرمز (الديني والتـــاريخي) ليكـــون نموذجـــا يحتذى به حتى نخرج من عباءة المهانة والذل الذي رضينا به، ونزيح الهـــوان وذل الانكسار أمام قوى الاستعمار الباغية.

---

(١) الأعمال الكاملة ٢٦٧/١.

(٢) انظر:- على سبيل المثال – الأعمال الكاملة ٤٢٦/١، وعلى سلم من هشيم الرياح ص ١٦٠، ١٦١، وغير ذلك.

وقد نجح الشاعر في توظيفها توظيفا جيدا لارتباطها بالجهاد والنضال، والعمل على تحرير الأرض من دنس المحتل، والشاعر بدافع من وطنيته، وانتمائه لعروبته وهويته الإسلامية والعربية يتمنى عودة هذا (الرمز)، (ليطفئ جمرات الحزن الرابض في الأضلاع/ وتضيء بعينيه الربوات / وتعود الرايات الخضر / أزهارا فوق ظلال الزيتون)، ويسود السلام بلاد العرب والمسلمين بل في كل مكان.

إن حسن فتح الباب لجأ إلى التصوير الرامز للكشف عن ما تعانيه الأمة اليوم من ذل وانكسار، وهوان، وتعرية ما تفعله القوى الاستعمارية ببلاد العرب والمسلمين، وقد استعان به للدعوة إلى الثورة على المحتل، والأخذ بالثار من الظالم، والنضال من أجل الحصول على الحرية وإعادة الحق المسلوب.

وغنى عن البيان أن الرمز للمعنى أشد وقعاً وتأثيراً في النفس من التصريح به، فالصورة الرمزية تجعل المتلقي يشارك الشاعر في استجلاء المعنى والكشف عنه، وسبر أغواره بدلاً من أن يتلقاه جاهزاً، كما تكشف عن ثقافة الشاعر ومقدرته الفنية، وتضفى على الصورة القوة والأصالة والعمق.

# الفصل السادس
# الموسيقى الشعـــرية

## مدخل- أهمية الموسيقى في الشعر

الموسيقى من العناصر المهمة التي تكتمل بها الصورة الأدبية، فهي تضفي على النص الشعري حركة وحيوية وإثارة، وتغلفه بالمتعة الفنية، ولها في النفس تأثير لا ينكر، فهي تحرك الشعور، وتأخذ بالألباب، لما لها مـن إيقـاع يشـد المتلقي ويجذبه إلى متابعة الصورة حتى النهاية، إنها "تحقق غاية الشـعر مـن التأثير وإثارة العواطف والانفعالات"(١).

إن الشعر الذي تتوافر فيه عوامل الانسجام الموسيقي، إلى جانـب تـوافر المعاني ذات المضمون الهادف المشبع بالحركة والحيوية يشـد المتلقـي إليـه، ويجذبه، ويثير انتباهه، وتظهر مقدرة الشاعر الفنية في قدرتـه علـى تنسـيق وتنظيم أوزانه الشعرية، بحيث يطوع هذه الأوزان لخدمـة أفكـاره ومعانيـه، وتعميق تجربته الشعرية.

وتتنوع موسيقى البيت الشعري بين موسيقى خارجية تتمثـل فـي الـوزن والقافية وما يتصل بهما كالروي، وموسيقى داخلية تعتمد توافق الألفاظ وتلاقيها مع بعضها في تواؤم وانسجام.

---

(١) عضويّة الموسيقى في النصّ الشعريّ: د/عبد الفتّاح صالح نافع ص ٣٢، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٥م.

## أولا: الموسيقى الخارجية

تتمثل الموسيقى الخارجية في الوزن والقافية وما يتصل بهما كالروي، ونحاول في هذا الصفحات الوقوف مع موسيقى الوزن والقافية وأثرهما في شعر حسن فتح الباب الوطني.

### ١ـ الوزن

الوزن من العناصر المهمة في بناء النص الشعري، فهو يخلق توازنات بين موسيقى البيت تنتظم بها الألفاظ والعبارات والجمل، ويظهر من خلالها خصائصها الإيقاعية.

وقد وفق شاعرنا إلى حد كبير في اختيار الأوزان التي تتفق مع مشاعره وأحاسيسه تجاه وطنه وأمته، وباستعراض شعره الوطني وجدت أن موسيقاه نابعة من تراثنا الشعري، وأنه لم يحد في نظمه عن أوزان الخليل، على الرغم من تجديده في المحاور والمضامين المتصلة بالاتجاه الوطني، فهو لم يخترع بحر جديدا، لكنه صاغ شعره الوطني على الشكل الجديد، وسار فيه على نظام الشعر الحر أو شعر التفعيلة.

لقد وجدت أن شعره الوطني جاء أكثره على أوزان البحور ذات التفعيلة الواحدة مثل: الكامل، الرجز، الرمل، الوافر، المتدارك، المتقارب، وهذه من أكثر البحور التي يدور حولها الشعر الحر، ذلك أنها "تساعد الشاعر على حرية التصرف في السطر الشعري"(١).

كما أنها تتسم بموسيقاها البسيطة وإيقاعها السريع، وتعطي للشاعر الحرية في التصرف في السطر الشعري من حيث الطول والقصر، وهي تناسب الشعر

---

(١) جماليات القصيدة المعاصرة: طه وادي ص ١٢٢، دار المعارف، القاهرة، الثالثة ١٩٩٤م.

الوطني وتتسق مع الحض على الثورة، والدعوة إلى الحرية، والنضال ضد المستعمر، والتنديد بأفعاله الخبيثة ضد الشعوب العربية لما لها من تفعيلة خفيفة سريعة متوثبة ذات نغم عال تلائم المشاعر الثائرة، والانفعالات الوطنية.

ونختار نموذجا من بحر الرجز لتوضيح ذلك، يقول الشاعر من قصيدة (على مقبرة كنيدي):

فلتضـــــــــــــــــربي
ولتُضرمي النيران في الصـــدور
لونكِ حبـــلٌ شـــد جلاّدُهـــم
أيقظـــه مـــن عـــالم الجنـــون
فلترجُمـــي عصـــابة الجنـــاة
بشعرِك الصافي الشجاع الحزين
وعلمـــي الصـــغير كلمـــتين:
لا تســـــــــــــــــتكن
قـــد فـــتح التـــاريخ أبوابـــه
فلتقبلوا يـــا صـــانعي الحيـــاة
وليســـــــقط البغـــــاه([1]).

تسيطر على الشاعر حالة من الثورة العارمة التي يشتعل بها قلبه تجاه الطغاة في كل زمان ومكان، وقد دفعته هذه الثورة المتوقدة في نفسه إلى التهديد والوعيد للجناة والبغاه في كل زمان ومكان، فراح يحض على النضال والثورة،

(١) الأعمال الكاملة: ١/٢٧٥.

ويدعو إلى الجهاد والوقوف في وجه المستعمر ورد كيده وظلمه لتعود الحياة والحرية، وليسقط الطغاة.

وكانت موسيقى بحر الرجز (مستفعلن) هي التي أعانت الشاعر على إظهار ضجره وسخطه على تلك القوى المغتصبة للحق، المقيدة للحريات، كما أتاح له هذا البحر أن يفرغ تلك الشحنات الوطنية التي تمور بها نفسه، وتفور به عواطفه.

ونختار من نماذج بحر المتدارك قول الشاعر متوعدا ومهددا:

**ويل لجلادي الكلمة**

**صناع الأحزان**

**موعدهم عند السور**

**يوم يموت الإفك**

**تفتح أبواب التنور**

**ويعيش الإنسان**

**لا يخشى الموت**(١).

كلمات ثائرة يقذفها الشاعر في وجه أولئك الذين يكممون الأفواه، ويصنعون الأحزان في قلوب الأحرار، يتوعدهم بالويل والهلاك، ويصرخ وتعلو صيحاته في تلك الشرذمة الذين لا يريدون للحق أن يصدع، ولنوره أن يسطع مهددا باقتراب موت الإفك وذهاب دولة الباطل ليأتي اليوم الذي يعيش فيه الإنسان في أمان لا يخشى الموت.

---

(١) الأعمال الكاملة: ٢٨٢/١.

وقد جاءت هذه القصيدة على وزن بحر المتدارك (فاعلن )، وتفعيلات هذا البحر أعانت الشاعر على التعبير عن مشاعره المتوقده بداخله، فجاءت القصيدة في إيقاع سريع متوثب، يتلاءم مع حالة الشاعر النفسية الثائرة، حيث إن "نغمات هذا البحر أقرب إلى الهتاف والصياح، فهو أدنى في نغماته إلى الحشرجة الموسيقية، وأبعد من أن يتدفق في نهر النغم"(١).

وبحر المتدارك من البحور الأثيرة لدى شعراء الشعر الحر، وقد وجد الشاعر فيه ما ينفس به عن مشاعره، وهو بتفعيلاته يستوعب الأحاسيس، ويتسع لتفريغ الشحنات الشعورية الثائرة في قلب الشاعر.

ومن الملاحظ في شعر الشاعر الوطني التنويع في عدد التفعيلات في السطر، فيأتي بتفعيلة واحدة في السطر الواحد، وأحيانا تفعيلتين، وأحيانا ثلاث وأكثر، والنماذج كثيرة؛ ومن ذلك قوله على وزن بحر الرمل من قصيدة (موت البطل):

| | |
|---|---|
| **آه.. عبد الناصر القلب المدوّى** | (ثلاث تفعيلات) |
| **سكن الرعد.. وغشانا الحريق** | (ثلاث تفعيلات) |
| **وافترقنا** | (تفعيلة واحدة) |
| **واحترقنا** | (تفعيلة واحدة) |
| **وبكينا حبنا** | (تفعيلتان) |
| **آخر الليل.. وفي عز الشروق(٢).** | (ثلاث تفعيلات) |

(١) التجديد الموسيقي في الشعر العربي: رجاء عيد ص ٧٢، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٤م.

(٢) الأعمال الكاملة: ٣٥٢/١.

الشاعر في حزنه على عبد الناصر يأتي بتفعيلات وزن الرمل (فاعلاتن) ليعبر عن شعوره تجاه هذا القائد، وقد نوع في عدد التفعيلات، وهذه من أهم خصائص الشعر الحر، حيث "أمكن أن يقوم سطر شعري على تفعيلة واحدة، لأن التفعيلة ذاتها ذات بنية موسيقية منظمة"(١).

وهذا ما وجدناه في هذا النموذج حيث تعددت التفعيلات في السطر الشعري الواحد، وجاءت بعض السطور في تفعيلة واحدة، ثم تعددت التفعيلات في السطور اللاحقة مرة أخرى، وقد أدى تنوع التفعيلات في الأسطر الشعرية إلى اختلاف السطور من حيث الطول والقصر، وأثَّر هذا على إيقاع الأوزان فتغيرت الأوزان طبقا لطول السطر، وهذا راجع للحالة النفسية، والشحنة الشعورية المسيطرة على الشاعر وقت كتابة هذا الشعر، إذ أباح هذا الشكل الجديد أن يحقق الشاعر "من نفسه وذبذبات مشاعره وأعصابه ما لم يكن الإطار القديم يسعفه في تحقيقه"(٢).

بعد هذا العرض يتضح لنا أن الأوزان التي استخدمها الشاعر جاءت تتماشى مع حالته النفسية والشعورية من فوران، أو ثورة، أو غضب، أو حزن، فجاءت الأوزان تحمل نفس هذه المشاعر، معبرة عن هذا المعنى الذي أراده الشاعر، كاشفة عن تجربته الشعرية من أيسر طريق، مما كان له الأثر الأكبر في زيادة الإيقاع الموسيقي للقصيدة الوطنية.

ولعل في التمثيل بالنماذج السابقة- إذ يتعذر الإحاطة والاستطراد- ما يؤكد تنويع الشاعر في استخدام البحور ذات التفعيلات الخفيفة السريعة الإيقاع التي

(١) الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية: ص ٨٥.
(٢) السابق: ص ٦٥.

تتناسب مع روح الوطنية والثورة، وتتواءم مع النضال والدعوة إلى الاستقلال ومناهضة المستعمر.

**٢ـ القافية**

للقافية أهميتها في إحداث إيقاع صوتي تضيفه إلي موسيقى البيت، وهي من أهم أجزاء الإيقاع التي تتحكم في ضبطه واتزانه، إذ إنها تعدّ ضابطاً لأنغام البيت الشعري، وتمثل نهايته بموسيقاه التي لا تكتمل دونها، فتكرارها يزيد في وحدة النغم الموسيقي، كما أنّها تُعَدُّ علامة بارزة موضّحة لنهاية البيت الشعريّ، إضافة إلى ما تشتمل عليه من المعاني والدلالات.

وقد جاءت قوافي شاعرنا الوطنية منوعة بين المطْلَقة والمقيدة لكن المطْلقة أكثر شيوعا، وهي تمتاز عن المقيدة في أنها تضفي على الشعر حركة إيقاعية وموسيقى داخل القصيدة بأكملها، إذ إن تقييد القافية يقلل من الإيقاع الموسيقي للبيت.

من نماذج القافية المقيدة التي التزم بها الشاعر في كل القصيدة، قوله من قصيدة (رؤيا إلى فلسطين):

**يا حبيبي يكبر الحُلم على خطْو الجنودْ**

**ويوافينا من الشرق عبير البرتقالْ**

**وإذا غزة فرسان أساطير وعيدْ (١).**

فالقافية في الأسطر السابقة (نود، قال، عيد)، وهي من النوع المترادف أي حركة فسكون فسكون ( / O O )، وقد التزم الشاعر بهذه القافية المقيدة في كل أسطر القصيدة، لكنه غير في نوع القافية، فمرة يأتي بقافية من النوع المترادف، ثم يتبعها بأخرى من المتواتر، ثم قافية من النوع المتراكب، وهكذا حتى لا

(١) الأعمال الكاملة: ٥٣٩/١.

يصاب الشعر بنوع من الرتابة عند تكرار نفس القافية، حيث إن " التزام التقنية بأي صورة من صورها في جميع الأسطر يعطي إحساسا بالرتابة"(١).

كما جاءت القافية منوعة من ناحية عدد الأسطر؛ فأحيانا تأتي في سطرين متتابعين أو أكثر، وتأتي بأكثر من حرف وأكثر من قافية. ومن ذلك قول الشاعر من قصيدة (لمن تدق هذه الأجراس؟):

١ ويل لمن قد سموا الآبار
٢ وأغرقوا البحار
٣ بقمحهم ليحرموا العناه
٤ من كسرة غنًى لهم من جوع
٥ وحرموا على الصغار من قرى الجنوب
٦ كأسا من الحليب
٧ وحلمهم بدمية يلهو بها الأطفال
٨ في مدن الشمال(٢).

فالقافية جاءت في هذه الأسطر منوعة بين (الراء، والباء، واللام)، حيث تكررت (قافية الراء) في السطر الأول والثاني، وجاءت (قافية الباء) في السطر السادس والسابع، ووجدنا (قافية اللام) في السطر السابع والثامن.

هذه القافية المنوعة تكشف عن انفعال الشاعر وحنقه الشديد على بغي وطغيان الدول التي تدعي أنها راعية حقوق الإنسان والفقراء، وهي ترمي

(١) موسيقى الشعر العربي: شكري عياد، ص ١٢٤، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون.

(٢) على سلم من هشيم الرياح ص ١١٨.

الفائض منها في البحار كي لا ينتفع به غيرهم من الجوعى في قرى الجنوب من دول العالم الثالث، فهناك غير بعيد منهم أطفال جوعى لا يجدون كسرة عيش، أو مذقة لبن يقتلون بها الجوع.

إن التنويع في القافية وتوزيعها بهذه الطريقة بين الأسطر الشعرية أدى إلى تنوع الإيقاع، وقد سار عليه الشاعر في جل أسطر القصيدة، وهو مما ينشط ذهن السامع، ويشد انتباهه، ويجعله يشارك الشاعر تجربته، ولعل هذه التجربة هي الذي فرضت عليه هذا التنوع فأدى ذلك إلى بروز الإيقاع بشكل مكثف في القصيدة.

وأحيانا يأتي الشاعر بقافية متحررة لا ترتبط بسابقتها و لا حقتها إلا ارتباط توافق وتلاؤم دون اشتراك ملزم في حرف الروي، ومن ذلك ما جاء في قصيدة (العصا والثورة) يقول الشاعر:

**وفي محطة التحرير**
**كانت عصا الشباب حقهم**
**في الذود عن كرامة الوطن**
**فمات فينا الخوف**
**وانهار عرش الزيف**
**وفي السماء صلت الملائكة**
**على مئات الشهداء**
**فاستيقظوا يهللون:**
**يا مصر عشت حرة كريمة**
**إلى الأبد(١).**

(١) أرقني الشوق إلى العادلين: ص ٦١.

فنجد أن القافية جاءت منوعة في هذه الأسطر مختلفة الروي، حيث تنوعت بين الحروف الآتية (الراء، الميم، النون، الفاء، التاء،، الهمزة، الدال)، والشاعر لا ينتقل إلى قافية أخرى حتى يشبع بها وجدان السامع، ويملأ بها قلبه ليؤثر فيه، وينقل إليه تجربته.

هذا التنوع في القافية فرضته على الشاعر الدفقة الشعورية، والوقفة الانفعالية، وقد تآخت هذه القوافي وتواءمت مع بعضها لتعبر عن تجربة الشاعر، وتؤكد على وطنيته، وانتصاره للثورة، هذا كله في غير اضطراب، أو قلق، أو نشاز.

وأحيانا نجد حرف الروي ثابتا لا يتغير في أكثر أسطر القصيدة؛ ومن نماذج ذلك: قول الشاعر من قصيدة (رسالة من الأرض المحتلة):

**دوّت فوق هدير الطوفان**

**صيحة طفل باكي العينين**

**دامي الشفتين**

**عان عريان**

**مد ذراعا من شط الأحزان**

**بحثا عن إنسان**

**يعلو فوق النيران**

**يغسل بدماء الشيطان**

**عار الأفعى... (١).**

---

(١) الأعمال الكاملة: ١/٤٤٤.

فنجد أن الروي جاء على حرف (النون) قبله حرف مد، ألف، أو ياء، وهذا يناسب الحالة الشعورية للشاعر، فهو لم يقصد إلى ذلك قصدا وإنما دفعه إليه الحالة النفسية والشعورية التي يعيشها وهو يسجل أناته وآهاته لفلسطين المحتلة، وما يعانيه أطفالها خاصة من قتل وتعذيب وتشريد.

مما سبق يتأكد لنا نوّع في قوافيه تنوعا يخدم تجربته الشعرية، ويعبر عن حالته النفسية والشعورية، ويكثف من وجود الإيقاع المستمر داخل القصيدة، هذا التنوع يكشف عن تأثر الشاعر بما يكتب، حيث جاءت هذه القوافي تتلاءم مع موضوع القصيدة تلاؤما يشد من أزرها، ويزيد من موسيقاها، ويعمق تجربة الشاعر، ويثير المتلقي ويشد انتباهه.

## ثانيا: الموسيقى الداخلية

تظهر الموسيقى الداخلية في براعة الشاعر ومهارته في نظم الكلمات، وترتيبها وتنسيقها، وعنايته بحسن الجرس ووقع الألفاظ في الأسماع، والتجانس بين اللفظ والمعنى حتى يكون لها نغم وإيقاع يرتاح إليه الذوق الشعري.

**والموسيقى الداخلية هي:** "ذلك الانسجام الصوتي الداخلي الذي ينبع من التوافق الموسيقى بين الكلمات ودلالتها حيناً، وبين الكلمات بعضها وبعض حيناً آخر، أو قل: ذلك الانسجام الذي يحققه الأسلوب الشعري من خلال النظم وجودة الرصف"([1]).

إن مهمة اختيار الحروف والكلمات وقدرة توزيعها موسيقيا في أنحاء النص الشعري- من العوامل المهمة التي تؤدي إلى إحداث موسيقي داخلية بين ألفاظ البيت، وبروز إيقاع داخلي يجذب المتلقي، وتكشف عن أحاسيس الشاعر

(١) الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: د/ إبراهيم عبد الرحمن ص ٣٥٨، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠م.

وانفعالاته ومشاعره، كما تشف عن إبداعه وإحساسه بالعنصر الصوتي ووقع الكلمات.

**١- موسيقى الحرف**

يلعب تكرار الحرف دورا عظيما في الموسيقى اللفظيّة، فقد تشترك الكلمات في حرف واحد أو أكثر، ويكون لهذا الاشتراك فائدة موسيقيّة، وقيمة نغميّة جليلة تؤدي إلى زيادة ربط الأداء بالمضمون الشعري.

وموسيقى الحرف هي ذلك النغم الصوتي الذي يحدثه الحرف داخل النص الشعري، ومدى ملاءمة هذا النغم للتيار النفسي والشعوري عند الشاعر(١).

والشاعر الموهوب هو الذي يستطيع أن يحقق التوافق النغمي، والانسجام اللفظي بين الحروف، وذلك بأن يوافق بين أصوات الحروف ووقعها، وبين حالته الشعورية والنفسية.

ومن نماذج ذلك قول الشاعر يغني لغزة الباسلة، مؤكدا على عروبتها، مباركا بسالة أبنائها في مقاومة المعتدين من بني صهيون، منددا بالمحتل، محرضا على الثورة والكفاح:

**الساحة في غزة تحت هلال يقتحم الغيم**

**نصـــــــــلا مـــــــــن دم**

**وصبي مثقب الجبهة أدمى الجسر**

**في يده اليمنى كراسته.. في الأخرى**

**قنبلة وبقايا من جسد القاتل**

---

(١) انظر: موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: د/ صابر عبد الدايم ص ٢٨، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.

وصـــــــابايا كشـــــــجيرات الـــــــورد
خرجـــــــــت تحمـــــــــي غـــــــزة
وتقاتل عن غصن الزيتون وظل الـــورد
تقاتـــــــــــــــــــــــــــــــل
وتغـــــــني للعاصـــــــفة وللأمطـــــــار
غـــــــــــــزة عربيـــــــــــــــة(١).

لقد راح العدو الصهيوني يتغلغل داخل غزة الباسلة، يقتل ويبيد كل ما يقـــع في طريقه، فوأد البهجة في عيون الأطفال، وقتل العلم، وزرع بذور الفساد فـــي الأرض حتى أثمرت وآتت أكلها، لكن ذلك لم يطفئ الجذوة المشتعلة في قلـــوب الأحرار، كان ذلك بمثابة الشرارة التي أشعلت الثورة، إذ هب الجميع للذود عن أرضهم، وخرج الأطفال والصبايا الصغار تقتحم النار تنديدا بالمحتل الغاصب.

ونلاحظ بروز الحروف المجهورة في هذه الصيحة الشعرية، فقـــد تكـــرر صوت القاف(سبع مرات)، والغين (ست مـــرات) وهمـــا مـــن الحـــروف ذات النغمات القوية المجلجلة التي تقرع الآذان وتحدث صوتا صاخبا عند خروجهـــا، كما برزت الحروف المهموسة، فالسين تكررت(ست مرات)، والصـــاد (خمـــس مرات). وهما من الحروف عالية الصفير حادّة الجرس، وقد أدى تكـــرار هـــذه الأصوات(المجهورة والمهموسة) إلى تكثيف الإيقاع الموســـيقي داخـــل الـــنص الشعري.

هذه الحروف تناسب الحالة الشعورية للشاعر، وتتواءم مع حالته النفســـية، وهي تكشف عن القلق والاضطراب، والشد والجذب، كما تشف عن ثورة داخل

(١) الأعمال الكاملة: ١/٤٢٠- ٤٢٦.

الشاعر، ثورة على المحتل والوقوف في وجه المعتدين، وتنم عن بغضه للبغاة والطغاة والمستعمر في كل مكان وزمان، وتؤكد على وطنيته وانتمائه لعروبته.

**٢- موسيقى الكلمة**

إذا جاءت الكلمة في موقعها المناسب من النص أحدثت إيقاعا موسيقيا مؤثرا خفيا، وذلك أن يكون اللفظ "رقيقا في موضع الرقة، قويا عنيفا في موضع القوة والعنف، وأن تتوفر فيه صفة الجرس الموسيقي، وألا يكون مبتذلا أو كثير الشيوع لا يرتاح إليه الذوق الشعري"(١).

إن الشاعر الجيد هو الذي يستطيع التوفيق بين الكلمات ودلالاتها، ويجانس بين اللفظ والمعنى، ويراعي الانسجام الصوتي بين الألفاظ، وهذا كله له أثره الواضح في توفير الموسيقي، وتكثيف الإيقاع.

ومن نماذج الموسيقى الداخلية في الكلمة قول الشاعر من قصيدة (أنا.. من أنا؟):

**أنا الوطن الملهَم الملهِم للخلق معنى الحياة**
**وحرية الكائنات**
**أنا مصر موئل من قصدوها**
**فرارا من الظلم والظلمات**
**أنا مصر جنة هذا الوجود**
**أنا شعبها الروح والملكوت**
**وأيقونة الذكريات**
**أنا مصر فاتحة المكرمات**

(١) موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: ص ٢٠.

وفاصـــــلة الحـــــق عـــــن باطـــــل
حيـــــاة لمـــــن يعشـــــقون الحيـــــاة
أنـــا المجـــد منـــذ القـــرون الطـــوال
أنـــا يـــا رفـــاقي ســـر الخلـــود
أنـــــا البـــــدء والمنتـــــهى
أنـــــا قمـــــر الشـــــهداء([1]).

في حديث الشاعر عن ميدان التحرير الذي يرمز له بوطنه مصر، ويؤكد على تعلقه به وحبه لها نراه يقف مع كلمات بعينها فيكررها أكثر من مرة، وللتكرار وظيفته الصوتية والإيقاعية، ووظيفته الانفعالية النفسية، حيث يدل على تصاعد مجموعة من الانفعالات النفسية عند الشاعر يحاول أن يترجمها من خلال هذا التكرار الصوتي الذي يتحول بدوره إلى دلالة خاصة"([2]).

فالضمير(أنا) تكرر (تسع مرات) وهو يؤكد تعلق الشاعر بوطنه مصر، وكلمة (مصر) تكررت (ثلاث مرات) وفي هذا ما يؤكد على تعلق الشاعر بوطنه، وكلمة (الحياة) تكررت (ثلاث مرات) وهي تكشف أن حياة الشاعر متعلقة بهذا الوطن مرتبطة به.

هذا التكرار يؤدي إلى تكرار موسيقى أصوات اللفظة المكررة، مما يؤدي إلى ثراء الإيقاع وتكثيفه داخل النص الشعري، وهذا يعكس أثر تكرير اللفظة

(١) أرقني الشوق إلى العادلين ص ٧٩.

(٢) انظر: الخطاب الشعري عن محمد عفيفي مطر: د/ عبد السلام حسن سلام ص١٢١، القاهرة، الأولى ١٩٩٥م.

الواحدة وصداها الإيقاعي الذي يعمق الإحساس بالموسيقى ويلفت انتباه القارئ إلى أهميتها ورغبة الشاعر في التأكيد عليها.

كما يجسد هذا التكرار للكلمة حالة الشاعر النفسية التي دعته إلى الإلحاح على ألفاظ بعينها، إذ يكشف عن حب الشاعر لوطنه وتعلقه به، ويشد المتلقي ويؤثر فيه.

كما نلاحظ التآخي والتآزر والانسجام بين الكلمات: (الظلم / الظلمات)، (الذكريات/ المكرمات)، (حياة/ الحياة)، وهو مما يثري الإيقاع ويكشف من الموسيقي الداخلية في النص الشعري.

كما نجد – أيضا– الجناس بين (الملهَم) و(الملهِم)، والطباق بين (الحق / باطل)، و(البدء / المنتهى) وهذا كله يؤدي إلى انسجام موسيقي يسري داخل النص الشعري، ويساعد على بروز الإيقاع الداخلي وتكثيفه ونموه.

إن الكلمة هنا لها دور مهم في تكثيف الموسيقى الداخلية، وبروز الإيقاع ونموه في النص الشعري، وفي هذا ما يناسب الجو الشعوري للشاعر ويحقق المعنى في نفس المتلقى.

**٣- موسيقى العبارة**

تظهر موسيقى العبارة في حسن تأليفها، والتآخي والترابط بين أصوات حروفها ومفرداتها، وما توحيه هذه المفردات من دلالات وإيحاءات تعمق المعنى وتقويه، وتكشف عن الفكرة وترسخها في ذهن المتلقي.

وقد ذكرت جانبا من ذلك استدعاه التحليل في موسيقى الحرف، وموسيقى الكلمة، ومن ذلك قول الشاعر من قصيدة (الجرح العاصف):

**أكتب عن سيناء**

**أكتب عن قمري الثلجي على أشجار الشهداء**

يحلـــــــــــــــم بالإســـــــــــــــراء

يقتلني بين الأحياء، ويحيـــيني بـــين المـــوتى([1]).

فالشاعر يغني لسيناء الحبيبة التي ارتوت أرضها بدماء الشهداء من أبنـــاء مصر، وطهرها جنودنا البواسل من أدناس اليهود، لذا فحق لشاعرنا أن يكتـــب عنها، ويبارك عودتها للمصريين.

والمتأمل السطر الأخير (يقتلني بين الأحياء) و(يحييني بين الموتي)، يجـــد أنها مقابلة أحدثت إيقاعا داخليا واضحا، والمقابلة لها دورها البارز في إحـــداث نوع من الإقناع والإمتاع النفسي، كما أنها تؤدي إلى بروز موســـيقى الكلمـــات المتقابلة وتكثيف الإيقاع، كما تؤدي إلى إبـــراز المعـــاني، وترســـيخ الأفكـــار وتعميقها.

كما نلاحظ تكرار كلمة (اكتب) مرتين، وتكرار صوت (الهمزة) المســـبوقة بحرف المد الألف في الكلمات: (سيناء، الشهداء، الإسراء) وهـــو ممـــا ينمـــي الموسيقى الداخلية في السطر الشعري، ويكثف من وجود الإيقاع.

إن الشاعر البارع هو الذي يستطيع توظيف المقابلة توظيفا فنيـــاً، فتـــؤثر بإيقاعها المعنوي في نفسية المتلقي وقلبه، وقد أحدثت هذه المقابلة مواءمة بـــين شعور الكاتب والصورة، وهذا التواؤم بين الصورة وما تـــوحي بـــه أدى إلـــى تكثيف الإيقاع داخل النص الشعري، وزاد من الموسيقى الداخلية المرنـــة التـــي تحبها الآذان وتستمتع بها النفوس.

ومن نماذج موسيقى العبارة – أيضا– ما جاء في قـــول الشـــاعر يتغنـــى بشجاعة عبد الناصر ويدعوه للعودة لقيادة البلاد من قصيدة (أغنية إلـــى جمـــال عبد الناصر):

---

(١) الأعمال الكاملة: ١/ ٣٨٩.

يا أنضر الأعواد في حديقة الرجال
يا أصلب الرماح فوق نيلنـــا....
يـــا فارســـا أطـــل مـــن تاريخنـــا
حبـــــا يضـــــيء في عيوننـــــا
ترنيمـــــــــــة في المعبـــــــــد
تكـــــــــبيرة في المســـــــــجد
يـــــا نصـــــرنا علـــــى الهـــــوان
يـــــــا قـــــــاهر الأحـــــــزان
لا تـــــنس ميعـــــاد الصـــــديق
معـــــــا علـــــــى الطريـــــــق
علـــــــــــى الطريـــــــــــق
ويـــــل لقطـــــاع الطريـــــق(١).

جاءت هذه القصيدة على وزن بحر الرجز (مستفعلن) ونرى فيها الشـــاعر يتغنى بشجاعة عبد الناصر وبسالته، ويشيد بجهوده، وعنايته بالفقراء والفلاحين ووقوفه في صف الشعب والطبقة الكادحة، حين قضى على دولة الإقطاع التـــي كانت تسرق أموال الشعب الكادح.

و نلاحظ التوافق بين العبارتين (يا أنضر الأعواد، يـــا أصـــلب الرمـــاح)، وبين (ترنيمة في المعبد، تكبيرة في المسجد) وهو مما ينمي الإيقاع الداخلي في النص، ويكثف من وجود الموسيقى الداخلية ويثريها.

(١) الأعمال الكاملة: ٣٣١/١.

هذا التواؤم والتوافق أدى إلى تعميق المعنى في نفس المتلقي، وأثبت حب الشاعر وتعلقه بعبد الناصر، إذ رأى فيه القائد الذي سيقود البلاد إلى بر الأمان. كذلك تكرار عبارة (لا تنس) مرتين، وعبارة (على الطريق) وهو مما يؤدي إلى وجود إيقاع متكرر يضيف إلى الموسيقى ثراء ومتعة فنية.

إن حسن فتح الباب استطاع أن يجمع لشعره من الموسيقى الخارجية ما يبرز أفكاره، ويوضح معانيه، ويزيده ثراء، وذلك من خلال الأوزان والقوافي المألوفة المتداولة التي تقبل عليها النفس، وتميل إلى موسيقاها الأسماع، وتعود بالفائدة على الهيكل العام للتشكيل الإيقاعي في القصيدة.

كما وظف الحروف، والكلمات، والعبارات، لإثراء شعره بالموسيقى الداخلية التي تعطى لشعره إيقاعا موسيقيا يشد المتلقي ويجذبه، ويلفت انتباهه، ويضفي عليه الحيوية، ويميزه بالإيقاعية، ويكشف عن الفكرة ويبرزها، ويوضح المعنى ويرسخه، ويحقق لشعره الإمتاع والإقناع.

# الخاتمة

الحمد لله، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله (ﷺ).

**وبعد:** فقد تمخض البحث عن النتائج التالية:

• رأيتُ أن الشاعر الذي يتسم بالوطنية هو ذلك الذي يغني لوطنه، وإخوانه، وأمته، ويناضل بشعره من أجل الإنسان المقهور في كل زمان ومكان بغية تحقيق أحلامه في الحرية والاستقلال والعدل الاجتماعي.

• أحبَّ الشاعر مصر كثيرا، وتغنى بحبه لهذا الوطن، وعلا صوته تعبيرا عن عشقه له، خلد انتصاراته، ومجد بطولات أبنائه، ودعا إلى استقلاله وحريته، كما أنَّ لمصابه وتألم لأحزانه، وجاءت أشعاره في هذا المجال تكشف عن شاعر وطني صادق التجربة، قوي الإحساس، عميق الشعور.

• اتسعت دائرة الوطنية والثورة لدى الشاعر لتشمل قضايا الأمة العربية، فوجدناه الثائر المقاوم بشعره مع القضية الفلسطينية بكل ما أوتي من ملكات شعرية مكنته من بث ما يثور في نفسه من مشاعر وأحاسيس تجاه الشعب الفلسطيني، ناضل من أجلها في شعره، ومجد الكفاح المستمر ضد المستعمر، وندد به، ودعا إلى مقاومته والثورة عليه، وندد بقتل الأطفال، والذبح والتشريد، ومجد رموز المقاومة وغنى للشهيد الفلسطيني فكانت صرخاته أناته الشعرية مدوية تفضح العدو الغاصب، وتقرع القوى الصهيونية الباغية.

• كما شملت ثورته الوطنية قضايا الأمة العربية من حوله، وسافر غناؤه للوطن إلى آفاق أوسع وأرحب لتشمل الوطن العربي بأسره؛ فندد بالغزو الأمريكي للعراق، وناضل بشعره مع لبنان، واستنهض الهمم لسوريا، كما غنى للجزائر وشعبها، وقد علت صيحاته، ولم تنقطع صرخاته مؤازرا، ومنددا

بالمستعمر، ومحرضا على المقاومة والجهاد، والدفاع المستميت من أجل الحرية والاستقلال، ورفع راية العروبة.

• معجم الشاعر الوطني يجمع بين اللغة التراثية التي أمدته بها ثقافته وعنايته بقراءة التراث الأدبي السابق عليه، واللغة المعاصرة التي فرضتها روح العصر، وألزمته بها وطنيته التي طفح بها شعره، وقوة انتمائه لهويته الإسلامية وأمته العربية وانشغاله بقضايا الوطنية من حوله.

• استعمل الشاعر اللفظة الموحية التي تشف عما في نفسه ومشاعره تجاه وطنه وأمته، وتعمق تجربته الشعرية، وتبرز المعنى الذي يرومه وتوضحه، وترسخ رؤيته في ذهن المتلقي وفكره، بما يوقظ المتلقي ويثيره، ويضمن لشعره النجاح والقبول.

• برزت في شعره الوطني ظواهر أسلوبية عدة؛ كالاقتباس من القرآن الكريم، والاستفهام، والتكرار، والبناء الدرامي، والتناص، وقد استطاع أن يطوع هذه الظواهر للكشف عما يكنه في نفسه، وتمور به مشاعره نحو وطنه وأمته، والتعبير عما يحس به من آمال وآلام نحو وطنه، وأمته الإسلامية، ويعمق تجربته ويثريها، ويرسخ الفكرة وينميها، ويشف عن براعته وثقافته، ويجذب المتلقي ويشد انتباهه، ويحقق لشعره الإقناع والإمتاع.

• تنوعت الصور الشعرية في شعر الشاعر الوطني؛ فلجأ إلى التصوير البياني الذي يعتمد التشبيه والاستعارة والكناية، وقد احتل هذا التصوير مكانا واضحا في تصويره، إذ اعتمد عليه لإبراز أفكاره ومعانيه، والتعبير عن مشاعره الوطنية تجاه وطنه، والكشف عن تجربته.

• كما اعتمد على الحركة في تصويره، وأدرك الدور الفعَّال الذي تلعبه في تشكيل الصورة ورسمها، وإبراز الفكرة وتوضيحها، والأثر النفسي الذي تحدثه في نفس المتلقي، مما كان له أكبر الأثر في إقناعه وإمتاعه.

• برزت الصورة الرمزية بصورة واضحة في شعره الوطني؛ وذلك لتصوير ما تعانيه الأمة اليوم من ذل الاستعمار، وهوان وانكسار، وتعرية ما تفعله القوى الاستعمارية ببلاد العرب والمسلمين، والدعوة إلى الثورة على المحتل، والأخذ بالثار من الظالم، والنضال من أجل الحصول على الحرية، وإعادة الحق المسلوب.

• استطاع حسن فتح الباب أن يجمع لشعره من الموسيقى الخارجية ما يبرز أفكاره، ويوضح معانيه ويزيدها ثراء، وذلك من خلال الأوزان والقوافي المألوفة المتداولة التي تقبل عليها النفس، وتميل إلى موسيقاها الأسماع، وتعود بالفائدة على الهيكل العام للتشكيل الإيقاعي في القصيدة.

• كما وظف الحروف، والكلمات، والعبارات، لإثراء شعره بالموسيقى الداخلية التي تعطى لشعره إيقاعا موسيقيا يشد المتلقي ويجذبه، ويلفت انتباهه، ويضفي عليه الحيوية، ويميزه بالإيقاعية، ويكشف عن الفكرة ويبرزها، ويوضح المعنى ويرسخه، ويحقق لشعره الإمتاع والإقناع.

**والحمد لله أولا وآخرا، وصلى الله - تعالى- على سيدنا محمد وآله.**

# المصادر والمراجع


- الاتجاه القومي في الشعر المعاصر: عمر دقاق، معهد الدراسات العالية، جامعة الدول العربية، القاهرة ١٩٦١م.
- أدب السياسة في العصر الأموي: د/ أحمد الحوفي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، القاهرة، الخامسة ١٣٩٩هـ- ١٩٧٩م.
- أرقني الشوق إلى العادلين (من وحي ثورة ٢٥ يناير وقصائد أخرى)، شعر حسن فتح الباب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠١٣م.
- أزمة المفاهيم وانحراف التفكير: عبد الكريم غلاب، سلسلة الثقافة القومية، رقم ٣٣، مركز دراسات الوحدة العربية بالأهرام، القاهرة.
- الأسلوب (دراسة بلاغية تحليلية لأصول الأساليب الأدبية): أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، السادسة ١٩٩٦م.
- استدعاء الشخصية التراثية في الشعر العربي المعاصر: د/ علي عشري زايد، دار الفكر، القاهرة ١٤٧١هـ- ١٩٩٧م.
- أسمى الوجوه بأسمائها (مذكرات الدكتور حسن فتح الباب)، مطبعة أطلس، القاهرة، الأولى ١٩٩٥م.
- أشكال التناص الشعري (دراسة في توظيف الشخصية التراثية): د/ أحمد مجاهد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٨م.
- الأعمال الكاملة للشاعر حسن فتح الباب، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.
- البناء الفني للصورة الأدبية للشعر: د/ علي علي صبح، المكتبة الأزهرية، القاهرة ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م.

- تاريخ الشعر السياسي إلى منتصف القرن الثاني: أحمد الشايب، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، السادسة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- التجديد الموسيقي في الشعر العربي: رجاء عيد، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩٤م.
- تحليل الخطاب الشعري (استراتيجية التناص): د/ محمد مفتاح، المركز الثقافي العربي، بيروت، الثالثة ١٩٩٢م.
- التشبيه والكناية بين التنظير البلاغي والتوظيف الفني: د/ عبد الفتاح عثمان، مكتبة الشباب، القاهرة ١٩٩٣م.
- التصوير الفني في القرآن: أ / سيد قطب، دار الشروق، القاهرة، الثامنة ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- التعبير البياني رؤية بلاغة نقدية: د/ شفيع السيد ، ط دار الصفا، القاهرة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٣م
- التناص الشعري، (قراءة أخرى لقضية السرقات): د/مصطفى السعدني، منشأة المعارف، الإسكندرية ١٩٩١م.
- جماليات القصيدة المعاصرة: طه وادي، دار المعارف، القاهرة، الثالثة ١٩٩٤م.
- حركات التجديد في الشعر السعودي المعاصر: د/ عثمان الصالح، السعودية، الأولى ١٤٠٨هـ- ١٩٨٧م.
- الحياة الشعر والشعر الحياة (دراسات ورؤى نقدية في الأعمال الشعرية للدكتور حسن فتح الباب): جمع/ مصطفى القاضي، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠٦م.

- الخطاب الشعري عن محمد عفيفي مطر: د/ عبد السلام حسن سلام، القاهرة، الأولى ١٩٩٥م.
- ديوان أبي نواس (الحسن بن هانئ الحكمي): تحقيق: ايفالد فاغنر، بيروت، الثانية ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ديوان بشار بن برد: شرح أ/ محمد الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م.
- ديوان حافظ إبراهيم، تحقيق: أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الإبياري، الهيئة العامة لقصور الثقافة القاهرة، الثانية ٢٠٠٢م.
- الشعر الجاهلي قضاياه الفنية والموضوعية: د/ إبراهيم عبد الرحمن، الشركة المصرية العالمية للنشر، القاهرة ٢٠٠٠م.
- الشعر العربي المعاصر (قضاياه وظواهره الفنية والمعنوية): د/ عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، القاهرة، الثالثة ١٩٦٦م.
- الشعر والناقد من التشكيل إلى الرؤيا: د/ وهب رومية، س عالم المعرفة، العدد: ٣٣١، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت، رجب ١٤٢٧هـ- سبتمبر ٢٠٠٦م.
- الشهيد محمد العربي بن مهيدي، رسالة خالدة للأجيال: لجنة الثقافة بعين مليلة، الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية، ٢٠٠٤م.
- الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز: يحيى بن حمزة العلوي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- عبد الناصر في الشعر العربي الحديث: د/ عبد الله سرور، مطابع الفاروق، القاهرة، الرابعة ٢٠٠٢م.

- عُضويّة الموسيقى في النصّ الشعريّ: د/عبد الفتّاح صالح نافع، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الأولى ١٤٠٥هـ١٩٨٥م.
- عن بناء القصيدة العربية الحديثة: د/ على عشري زايد، مكتبة الشباب، القاهرة ١٤١٧هـ- ١٩٩٧م.
- على سلم من هشيم الرياح، شعر حسن فتح الباب، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٦م.
- الغيم والمطر (الرواية الفلسطينية من النكبة إلى الانتفاضة): د/ مصطفى عبد الغني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٣م.
- فجر الصمت: بريستيد، جميس هنري، ترجمة: سليم الحسن، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٠م.
- فن الشعر: د/إحسان عباس، دار صادر، بيروت ١٩٩٦م.
- في الأدب الحديث: عمر الدسوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، السابعة ١٩٦٤م.
- في الأدب العربي المعاصر: د/ إبراهيم عوضين، مطبعة السعادة، القاهرة ١٩٧٩م.
- في الشعر السياسي حتى نهاية العصر الأموي: د/ عبد الرحمن محمد هيبة، دار التضامن للطباعة، القاهرة ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م.
- قضايا الشعر المعاصر: نازك الملائكة، دار العلم للملايين، بيروت، الثامنة ١٩٨٩م.
- كتاب الصناعتين - الكتابة والشعر -: أبو هلال العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م.
- محمود حسن إسماعيل بين الأصالة والمعاصرة: د/ صابر عبد الدايم، دار المعارف، القاهرة ١٩٨٤م

- المرأة الفلسطينية في الشعر السعودي: د/ محمود حسن عمار، طبع الأهرام التجاري، القاهرة ٢٠٠٦م.
- من صحائف النقد الأدبي: د/عبد الوارث عبد المنعم الحداد، دار الطباعة المحمدية، القاهرة ١٤١٠هـ- ١٩٨٩م.
- موسيقى الشعر العربي: شكري عياد، أصدقاء الكتاب للنشر والتوزيع، القاهرة، بدون.
- موسيقى الشعر العربي بين الثبات والتطور: د/ صابر عبد الدايم، مكتبة الخانجي، القاهرة ١٤١٣هـ- ١٩٩٣م.
- هذا هو الشعر الحديث: د/ أحمد سليمان الأحمد، دمشق ١٩٧٤م.
- الهوية القومية في الشعر العراقي: أسامة الألفي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ٢٠٠٥م
- وطنيات هاشم الرفاعي (دراسة في المضمون وأدوات التشكيل الشعري): د/ جميل عبد الغني محمد،، القاهرة ١٤٢٨هـ- ٢٠٠٨م.

ثانيا- الدوريات

- الرسالة: السنة: العشرون، العدد ٩٩١، ٣٠ يوليو ١٩٥٢م، مقال الدكتور/ محمد رجب البيومي: الجواهري شاعر العراق.
- الشرق الأوسط: العدد ٨٤٦٧، السبت ١٩ ذو القعدة ١٤٢٢هـ = ٢ فبراير ٢٠٠٢م، مقال هديل وهدان: وفاء إدريس طالما تمنت الانتقام لكل من جمعت أشلاءهم من ضحايا الانتفاضة خلال عملها كمسعفة مع الهلال الأحمر.
- الفيصل: العدد ٢٥١، جمادى الأولى ١٤١٨هـ- سبتمبر١٩٩٧م، وما بعدها، حوار مع د/ حسن فتح الباب، أجراه: طارق عبد الفتاح شديد.

# فهرس الموضوعات


| الموضـــــــــــوع | الصفحة |
|---|---|
| مقدمة..... | ١٠٠١ |
| تمهيد:..... | ١٠٠٥ |
| **أولا:** بين الشعر الوطني والسياسي والقومي..... | ١٠٠٥ |
| **ثانيا:** حسن فتح الباب الشاعر الوطني..... | ١٠٠٩ |
| **الفصل الأول: مصر في شعر حسن فتح الباب** | ١٠١٣ |
| مدخل: الوطن والشاعر..... | ١٠١٣ |
| **أولا:** في حب مصر..... | ١٠١٣ |
| **ثانيا:** التغني بالانتصارات المصرية..... | ١٠٢٠ |
| **ثالثا:** الإشادة برموز الوطنية وأبناء مصر البواسل..... | ١٠٢٧ |
| **رابعا:** الحض على الثورة ومقاومة المستعمر والـدعوة إلـى الحرية..... | ١٠٣٣ |
| **الفصل الثاني: القضية الفلسطينية** | ١٠٣٨ |
| مدخل: فلسطين في عيون الشعراء..... | ١٠٣٨ |
| **أولا:** التنديد بالمستعمر، والحض على النضال والمقاومة..... | ١٠٣٩ |
| **ثانيا:** قتل الأطفال..... | ١٠٤٥ |
| **ثالثا:** تمجيد الشهداء ورموز المقاومة..... | ١٠٥١ |
| **الفصل الثالث: القضايا العربية الأخرى** | ١٠٥٧ |
| **أولا:** العراق..... | ١٠٥٧ |

| | |
|---|---|
| **ثانيا:** سوريا ولبنان..... | ١٠٦٤ |
| **ثالثا:** الجزائر..... | ١٠٧٣ |
| **الفصل الرابع: اللغة والأسلوب** | ١٠٨٣ |
| مدخل: اللغة وأهميتها..... | ١٠٨٣ |
| **أولا:** المعجم الشعري..... | ١٠٨٤ |
| **ثانيا:** ظواهر أسلوبية:..... | ١٠٩٤ |
| ١- الاستفهام..... | ١٠٩٤ |
| ٢- التكرار..... | ١٠٩٧ |
| ٣- الحس الدرامي..... | ١٠٩٩ |
| ٤- التناص..... | ١١٠٤ |
| أ- التاريخ الإسلامي..... | ١١٠٦ |
| ب- الشعر..... | ١١٠٩ |
| ج- الشخصية التراثية..... | ١١١١ |
| **الفصل الخامس: الصورة الشعرية** | ١١١٦ |
| مدخل: الصورة وأهميتها..... | ١١١٦ |
| **أولا:** الصورة البيانية..... | ١١١٨ |
| ١- التشبيه ..... | ١١١٨ |
| ٢- الاستعارة..... | ١١٢٠ |
| ٣- الكناية..... | ١١٢٣ |
| ٤- التشخيص..... | ١١٢٦ |
| ٥- التجسيد..... | ١١٢٨ |

| | |
|---|---|
| **ثانيا:** الصورة الحركية..... | ١١٣٠ |
| **ثالثا:** الصورة الرمزية ..... | ١١٣٤ |
| **الفصل السادس: الموسيقى الشعرية** | ١١٤٣ |
| مدخل- أهمية الموسيقى في الشعر ..... | ١١٤٣ |
| **أولا:** الموسيقى الخارجية..... | ١١٤٣ |
| ١- الوزن..... | ١١٤٣ |
| ٢- القافية..... | ١١٤٩ |
| **ثانيا:** الموسيقى الداخلية..... | ١١٥٣ |
| ١- موسيقى الحرف..... | ١١٥٤ |
| ٢- موسيقى الكلمة..... | ١١٥٦ |
| ٣- موسيقى العبارة..... | ١١٥٨ |
| **خاتمة** ..... | ١١٦٢ |
| **المصادر والمراجع** ..... | ١١٦٥ |
| **فهرس الموضوعات** ..... | ١١٧٠ |